:مقدمة الناشر

قرّاءنا الأعزّة:

تطلّ علينا الذكرى السادسة لانتصار الثورة الإسلامية المباركة على أعتى الأنظمة المنحرفة، فتجدد لنا ذكرى انطلاقة الإسلام العظيم في هذا الشعب المظلوم والتي دفعته لمقارعة نظام العمالة المدعوم من قِبَل القوى الكبرى الكافرة، وليس لديه من سلاح إلاّ إيمانه بخالقه واسترشاده بإسلامه وإتّباعه لولي أمره الإمام الخميني القائد حفظه الله تعالى.

ونحن إذ نقدّم بهذه المناسبة هذا الكتاب هدية لكل المتطلّعين إلى غد إسلامي مشرق، لندعو العلي القدير أن يوفّقنا للسير دائماً على خط الإسلام الحقيقي الناصع، والعمل بجد لتحقيق أهدافه السامية، وتطبيق نُظمه على كل شؤون الحياة الإنسانية، والله الموفّق.

اللجنة العليا

لاحتفالات الذكرى السادسة

لانتصار الثورة الإسلامية

في إيران

بناءً على الدعوة الموجّهة من (الندوة الدولية عن الدولة والسياسة في الإسلام) لسماحة آية الله الجوادي الآملي. للمشاركة في هذه الندوة والتحدّث في موضوع السياسة في الإسلام فقد استجاب لهذه الدعوة وشارك في الندوة التي عقدت في لندن بتاريخ غرّة شوال المكرم من عام 1403هـ المصادف 1983/7/12 وألقى بحثاً قيّماً بعنوان: (العناصر الرئيسية للفكر السياسي الإسلامي): إليكم نصّه:

القسم الأول: السياسة مفاهيمها وفلسفتها

السياسة: صناعة يعرف بها تدبير الإنسان بما له من الشؤون الفردية والاجتماعية، وبما له من العقيدة والخلق والعمل، وبما له من مساس بالطبيعة، وبما له من روابط خاصة مع أهله وقومه ومن يشاركه في النوع، مع ما له من ربط خاص بمبدأه الكل وهو الله الخالق لكل شيء.

والسياسة حكمة عملية متفرّعة عن الحكمة النظرية وتختلف باختلافها، فمن كان رأيه: إنّ الإنسان موجود مادي صرف؛ لأن كل موجود متحقق مادي، وأنّ ما ليس بمادي فليس بموجود، وإنّ الإنسان الموجود سيصير معدوماً بحتاً كما كان ليساً محضاً، وأنه لا حياة وراء الحياة الطبيعية، وأنه لا حساب ولا ميزان لأعماله الحسنة أو السيئة بعد الموت. فالسياسة عنده هي كيفية تدبير الإنسان وإدارة شؤونه بحيث يأكل ويتمتع ويترف ويتزّين بالأزياء، ويتكاثر ويقول إني أكثر مالاً وأعز نفراً، يتبجح بأنه أحسن أثاثاً ورئياً، ولا يبالي من أين كسب المال وأين أنفقه، حلالاً كان أو حراماً.

فعلى هذا تكون العناصر الرئيسة للسياسة لديه مادية بحتة، وأما من كان رأيه أنّ الإنسان مؤلّف من نفس ناطقة لا تبيد ولا تموت، وبدن مادي، وهو ـ أي الإنسان ـ إنما يُنقل من دار إلى دار، وأنّ النفس لا تنعدم رأساً, بل تتحوّل من حال إلى حال بما له من المعارف والأخلاق والأعمال، وأنّ من وراء حياته الدنيوية برزخاً إلى يوم يبعثون، وأنّ هناك موقفاً تُوفّى فيه كل نفس ما كسبت، وأنّ أمامه موطناً تتلو فيه كل نفس ما أسلفت، وأنّ قدّامه ميعاداً علمت نفس فيه ما قدّمت وأخرت.

فالسياسة عند صاحب الرأي الثاني، صناعة تهذيب الإنسان، وتصحيح روابطه الفردية والاجتماعية، بحيث يقوم بالقسط، ويأمر بالعدل ويُؤثِر غيره على نفسه، وإنْ كان به خَصاصة، ويقول {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}([1]) ويترنّم بأنه{قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى}([2]) كما كان الأول يتصور بأنه {قَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى}([3]). فعلى الرأي الثاني تكون العناصر الرئيسة للسياسة، مؤلّفة من الأمور المادية والمعنوية كما سيوافيك تفصيلها.

وحيث إنّ محور الكلام، هو تعيين العناصر الأصلية للسياسة الإسلامية. والإسلام دين إلهي يرى الإنسان متحوّلاً من النشأة الأولى إلى الآخرة ليرى أعماله ويُجزى بها، ويرى أنّ له مبدأً أوجده، ومعاداً يصير هو إليه ويلقاه ويحاسب عنده. فالعناصر الأصلية للسياسة عنده مؤلّفة من العلل الطبيعية ومن العلل غير الطبيعية، وفي ضوء هذا التمييز بين المذهبين المادي والإلهي نقول: إنّ العناصر الرئيسة للسياسة الإسلامية أربعة:

الأول: هو العنصر المادي:

وهو الإنسان بما أنه يعيش مع أبناء نوعه، وله خصائص فردية، وخواص اجتماعية.

والثاني: هو العنصر الصوري:

وهو الدين الإلهي بما له من الحكم والأحكام وهو كرامة إلهية يتصور بها الإنسان، ويصير به كريماً في فضائله، وكريماً في عقائده وأخلاقه وأعماله، وكريماً في روابطه الفردية والاجتماعية، وتتبلور سياسته في كرامته الشاملة.

الثالث: هو العنصر ألفاعلي:

وهو الله رب الإنسان، ورب كل شيء، الحري بأن يديره، ويربّيه، ويسوسه، ويهديه إلى صراطه، ولا سائس سواه، ولا ربّ غيره.

الرابع: هو العنصر الغائي:

وهو الكمال المحقق والبهاء الصرف الذي لا كمال فوقه ولا بهاء وراءه. الجدير بأن يكون غاية الإنسان الكادح إليه، ونهاية له ينتهي بلقائه ويستقر لديه، وهو الله الذي إليه تصير الأمور فهو تعالى: الآخِر، كما أنه تعالى هو الأول.

فتحصّل أنّ المسوس، هو الإنسان بجميع شؤونه التي يعيش بها مع أوليائه وأعدائه وفي أدواره وأطواره، وأنّ سياسته وتدبيره هما كرامته وتكريمه لأن يتجلّى الكرم في حياته السامية، وأنّ سائسه هو خالقه وربّه الأكرم الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، وأنّ هدفه العالي هو لقاؤه سائسه وزيارته ربّه, وأن تكون له قَدَم صدق عنده ومقعد صدق لديه.

فمن عرف حقيقة الإنسان وواقعية الإسلام، وعرف خالقه الباري ومعاده الذي ينتهي إليه أمره، فقد عرف السياسة الإسلامية. وأعرف الناس بالسياسة الإسلامية، أعرفهم بتلك الحقائق المتقدمة، ومن جهل هاتيك الحقائق البارعة فقد جهل السياسة الإسلامية جهلاً تاماً؛ لأن ذوات الأسباب لا تعرف إلاّ بأسبابها، فمن جهل السبب فقد جهل بالمسبب حتماً، كما أنّ من عرف السبب فقد عرف المسبب يقيناً، وتمام الكلام وإنْ كان متوقفاً على تنميق المقال في العنصر الأول إلاّ أنّ البحث المهم هنا هو في العنصر الصوري. أما العنصر المادي وهو الإنسان المؤلف من نفس مجردة وبدن مادي فله موطن آخر، كما أنّ إثبات عنصري ألفاعلي والغائي لهما موقف أجل وأعلى تكفله الفلسفة الإلهية الإسلامية بأبسط وجه.

وحيث إنّ القرآن تبيان لكل شيء، وهو يهدي للتي هي أقوم؛ لأنه نور وبرهان وبصائر وشفاء لِمَا في الصدور من الجهل والريب، وأنّ رسول الله (ص) مُبيّن للناس ما نزّل إليهم، وإنّ مَنْ كان بمنزلة هارون من موسى (ع) ومن كانت له أذن واعية تعي جميع ما ألقاه رسول الله(ص) وأملاه وأفاضه وأماده من خطبه وخطاباته وكتبه ورسائله وسيرته وسنّته، وكذا أهل بيته وعترته الكرام الذين هم حياة العلم وموت الجهل، فهذه الأمور ينابيع الدين ومصادر التبيين، ومسانيد التشريع، فبذلك كله يستند في توضيح السياسة الإسلامية من بُعدها الصوري وهو الدين المتبلور في كرامة الإنسان بما أنه إنسان بحيث تكون الجامعة الإنسانية المسلمة هي الإسلام الممثّل.

وحيث إنّ الإنسان موجود واع، له تفكّر وتخلّق وعمل، فهو لا يعمل شيئاً إلا بعد أن يراه حسناً بحاله، ولا يراه حسناً إلا بعد التفكير.

فحياته حياة فكرية لا يعيش بدونها، كما أنه محتاج إلى غير واحد من الأمور، ليس في وسعه وحده تكفّلها، بل لابد من أن يعيش مع غيره من أبناء نوعه حتى يتكفّلوا جميعاً تأمين حوائجهم, بأن يبذل كل واحد شيئاً للآخر ويأخذ شيئاً منه بالمعاوضة أو نحوها، وهذا لا يتمّ بدون ضابط وقانون يعيشون في ضوئه، وبما أنّ كل واحد منهم يجرّ النار إلى قرصه، فقد احتاجوا إلى قانون حافظ لمنافعهم وجامع لشملهم، كما أنه لا يمكن أن يجعل وضع ذلك القانون بأيديهم وإلاّ وقع التشاجر أيضاً؛ لأن كل واحد منهم يضع قانوناً ينفعه أو ينفع أهله وقومه وإنْ ضرّ غيره.

ولَمّا كان اختلافهم في العمل الخارجي قد أوجب الافتقار إلى قانون يجمع شتاتهم، كذلك اختلافهم في العمل الذهني والنفسي وهو الفكر والخلق والدواعي النفسانية، وما إلى ذلك من الضغائن والأحقاد أو الآراء والأهواء، يوجب الاحتياج إلى قانون معصوم عن الزيغ والطغوى بحيث لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً، وحيث إنّ القانون المعصوم عن الخطأ والجهل صامت لا ينطق, بل إنما هو سواد على بياض يمكن أن يفسّر بما تهواه أنفس الطغاة، وأن يترجم بما يثير الضغائن أو الأحقاد، ويتخذ هزواً ولعباً يلعب به من يعطف الهدى على الهوى، ويستهزئ به من يحرّف الكلم عن مواضعه، فلابد من إنسان كامل كافل لذاك القانون المصون عن كل نقص وشين، وقائم بأمره بحيث يفسره كما هو في نفسه، ويعلّمه الناس ويبلّغه إليهم، ويدعوهم إليه، ويسير فيهم بنفس ذاك القانون، ويذبّ عن حريمه، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يمسّ كرامته خوف ولا حزن بل يسعى في حفظه بقلبه وقالبه، ويضحي بنفسه تجاهه؛ لأن في حفظ ذاك القانون الراقي تحفظ الإنسانية وتصير مدينتها فاضلة لا يسمع فيها شعار الجاهلية الجهلاء ـ (أنصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً)([4]) بل يسمع فيه صوت العدالة الإنسانية (كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً)([5]) وفوق ذلك كله قول الله تعالى:

{وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا}([6])

{وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}([7])

{وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}([8])

وذلك الإنسان الكامل الحافظ لحدود القانون، المفسّر له علماً، المنفِّذ له عملاً، هو الإمام السائس الناس على ميزانه، بحيث لا يحيف ولا يجور فيه، ولا يفسِّر بالأهواء، ولا يعمل فيه بالآراء الخاصة، بل يقدّسه كل التقديس، ويحفظه كل الحفظ عن التحريف والضياع.

فهذه العناصر الرئيسة لصورة السياسة ومادتها المشار إليها إجمالاً، ولا بدّ في تفصيلها من تشريح الحياة الإنسانية وما لها من العلل وما عليها من العوارض والصواعق، ومن تبيين محتوى ذاك القانون الرافع لجميع حوائجها، ومن تحليل رابطة الأمة والإمام، ومن كيفية هداية ذلك الإمام وولايته وتدبيره للمجتمع الإنساني، ومن الحقوق المتقابلة.

ثم إنّ خصيصة السياسة الإسلامية التي هي الصورة الكاملة للإنسانية، سعيها البليغ في أن تعرِّف الإنسان حقيقته وتبيّنها له، لا بأن تكتفي بقولها:

(من عرف نفسه، فقد عرف ربه)([9])

وقولها:

(أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه)([10])

بل تشهده على نفسه وتنبّهه وتحيي ارتكازه النائم وتوقظه وتستدل على أنّ له نفساً لا تنعدم، وأنّ أعماله لا تزول وأنّ بين أعمالها وذاتها ارتباطاً خاصاً لا ينفصم، وأنه إن أحسن فقد أحسن لنفسه وإن أساء فلها ـ أي أنّ العمل مختص بعامله حسناً كان أو سيّئاً، وأنّ كل إنسان بما كسب رهين.

والحاصل: إنّ السياسة الإسلامية، ليست بأن تدبر الإنسان الموجود، وتدبره كائناً ما كان، وفي ضوء أية تربية نشأ وارتقى، بل بأن تعلّمه الكتاب التكويني والتدويني، وتقول له في الدنيا؛ إقرأ صحيفة ذاتك، وتدبر فيها، وأجد التأمل في حقيقتك حتى تعلم من أنت؟ ومن أين أنت؟ وفي أين أنت؟ وإلى أين أنت؟ كما تقول له في الآخرة:

{اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}([11])

فهذه هي السياسة الحقيقية التي تسوس الإنسانية، وتدبرها، وترزقها حياة طيبة، لا مجال فيها لشوك الظلم، ولا التعدّي، ولا نيران العصبية ولا وقود القومية الجاهلية، ولا سعير الطغيان، ولا أي داء من أدواء البشرية، بل تضع عنها إصرها والأغلال التي كانت عليها، وتُحِل لها الطيبات وتحرم عليها الخبائث، وتخرجها من الظلمات إلى النور، وتهديها إلى صراط العزيز الحميد، وتحررها من عبودية الشهوة، كما تعتقها من رقبة القسوة، وتعدلها بالعدل الجميل، وتقول:

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ}([12])

وتقول:

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ}([13])

وتحطّم التكاثر والتباهي بالكثرة والتفاخر بها فردياً كان كما في قوله تعالى:

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}([14])

أو جميعاً كان كما في قوله تعالى:

{تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ}([15])

(إنّ عبد الشهوة أذل من عبد الرق)([16])

وتهدم المعيار الجاهلي، وتبيّن وهنه وفساده، كما قال رسول الله(ص) لعلي(ع):

(إن الله تبارك وتعالى قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا أن الناس من آدم وآدم من تراب وأكرمهم عند الله اتقاهم).([17])

وتؤسس المعيار الإلهي، وتبيّن سداده ودوامه كما قال رسول الله(ص):

(لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف عن محارم الله، ولا حسب كحسن الخلق، ولا عبادة مثل التفكر)([18])

وتنادي بأن النجاة، في التحرر من أوزار الميول المهلكة وأثقال الأهواء المردية، وفي الانعتاق من أعباء الغرائز التي تكون على شفا جرف هار تنهار في نار جنهم، كما قال رسول الله(ص) : (نجا المخِفّون)([19])

وتصرّح بأن صُرح الاستقلال، إنما هو على أساس بالاستغناء عن غير الله تعالى. يا صاح إقرأ ما قاله رسول الله وانظر كيف تكون السياسة الإسلامية متبلورة في الكرامة، ويالها من كرامة، حيث قال(ص):

(لأن ادخل يدي في فم التنين إلى المرفق أحب إليّ من أن أسأل من لم يكن ثم كان)([20]).

كما كان سبطه علي بن الحسين السجاد(ع) يقول:

(إنّ طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رأيه، وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا..)([21])

وكذا يقول (ع):

(سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً، وأنى يرغب معدم إلى معدم..)([22]).

وهكذا يؤسس بنيانه على التقوى أي الكرامة التي لا سياسة دونها، كما لا كرامة في سياسة خالية من المعيار الإلهي، حيث يقول الإمام زين العابدين(ع) إذا نظر إلى أصحاب الدنيا:

(واعصمني من أن أظن بذي عدم خساسة، أو أظن بصاحب ثروة فضلاً فإن الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من أعزته عبادتك، فصل على محمد وآله ومتّعنا بثروة لا تنفد، وأيدنا بعز لا يفقد، وأسرحنا في ملك الأبد)([23]).

فانظر أيها الإنسان الجائع إلى طعامك المعنوي وتبصّر، إنه لا يسدّ جوعك إلا الكرامة التي هي السائسة التي تسوسك وتديرك لتصير كريماً، لا يظلم ولا ينظلم، ولا يخون ولا يأتمن الخائن، لا يفسق ولا يركن إلى الفاسق، لا يقول بالباطل لأن الباطل كان زهوقاً، ولا يسكت عن الحق لأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وتدبر القرآن الذي هو متن السياسة كيف تدرس الكرامة الأبية عن افراط الضيم وتفريط الذل؛ لأن أول ما نزل منه هو ما يعلن بالتكريم، ويدعو إليه، وحيث يقول عزّ من قائل:

{ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}([24])

إشعاراً بأن مبدأ التعليم هو الله الأكرم، فحينئذ يكون التعليم تكريماً، والعلم كرامة، والمتعلم ـ وهو الإنسان ـ متكرماً، فلا يحوم حوله وهن ولا هون ولا ذلة ولا مسكنة ولا صغار ولا دناءة، إذ لا مجال لشيء من ذلك في مجال الكرامة ـ وهكذا من أواخر ما نزل منه نجده يورث الكرامة ويجلب إليها، ويرغب الإنسان نحوها، ويحثّه عليها، حيث يقول سبحانه وتعالى:

{ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}([25])

لأن التقوى في لسان الوحي الكريم، هي المعيار للكرامة وحسب، وإنّ درجات الكرامة تتبع درجات التقوى. فمن كان تقياً كان كريماً، ومن كان أتقى كان أكرم، ولا قيمة للإنسان إلا بالكرم. ولذا قال سبحانه وتعالى:

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}([26])

فمن لا تقوى له لا كرامة له، ومن لا كرامة له لا إنسانية له، فلذا قال مولانا علي بن الحسين (ع) في دعائه:

(والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرفوا في مننه فلم يحمدوه وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه، ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية، فكانوا كما وصفهم في محكم كتابه:

{ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}([27])

والكرامة هي المتجلية في طاعة الله فحسب والتحرر من أغلال الأهواء الداخلية، والانعتاق من سلاسل الميول الخارجية، حيث يقول رسول الله(ص):

(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)([28])

وحيث إنّ الفصل الأخير للإنسانية هو الكرم، وأنّ الكرم بتقوى الله فحسب، فيتعين أن يكون هو المعيار السائس الذي يسوس الإنسان، ويدور الإنسان معه حيثما دار، فلا عبرة بالقومية، ولا باللغة، ولا باللون، ولا بأي وصف خارجي أجنبي عن الإنسانية، كما قال رسول الله(ص):

(لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى)([29])

رغماً لأنف من يجعل المعيار، القومية أو نحوها، فلذا نبشوا القبور، وحفروا الآثار، وتفاخروا بعظام بالية غافلين عن أنّ التفاخر إنما يكون بالهمم العالية والسر فيه أنّ التكاثر قد ألهاهم حتى زاروا القبور، وتباهوا بأحجار ضخام، وآثار فخام لديهم قد نسفها الإسلام نسفاً، وأبادها وجعلها هباءً منثوراً.

ولا ريب في أنّ الإنسان عطشان للسياسة التي تسوسه. فإن وجد الكرامة السائسة، فقد ارتوى ريّاً بالغاً لا ظمأ بعده؛ إذ ليس وراء الكرامة شيء، وإن لم يجدها، فقد ابْتلي بسراب اللون، أو القومية أو الثروة، أو الخصوصية المكانية، أو غير ذلك، مما هو خارج عن حريم إنسانيته، ولا مساس لشيء من ذلك بحقيقته التي هو بها إنسان، كما ابتلي الصهاينة بهذا الداء العَيَاء، والمرض العضال، حيث يتيهون في بيداء القومية البائدة، ويتحيرّون في الأرض الإسرائيلية البائرة، ويهرشون في وادي اليهودية الهاذية الهاذرة, ولقد نطق الوحي الكريم بذلك، حيث يقول:

{مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}([30]).

فقد كانوا يزعمون كما أنهم اليوم على زعمهم(حسبما أفاده سيدنا الأستاذ العلامة الطباطبائي قدس الله نفسه الزكية في تفسيره القيّم ـ الميزان ـ) أنهم هم المخصوصون بالكرامة الإلهية، لا تعدوهم إلى غيرهم. بما أنّ الله سبحانه جعل فيهم نبوة، وكتاباً، ومُلكاً، فلهم السيادة والتقدم على غيرهم، واستنتجوا من ذلك أنّ الحقوق المشروعة عندهم اللازمة المراعاة عليهم كحرمة أخذ الربا، وأكل مال الغير، وهضم حقوق الناس... إنما هي بينهم معاشر أهل الكتاب. فالمحرّم هو أكل مال الإسرائيلي على مثله، والمحظور هو هضم حقوق يهودي على أهل ملّته.

وبالجملة إنما السبيل على أهل الكتاب لأهل الكتاب، وأما غير أهل الكتاب فلا سبيل له على أهل الكتاب، فلهم أن يحكموا في غيرهم ما شاءوا، ويفعلوا في دونهم ما أرادوا، وهذا يؤدي إلى معاملتهم لغيرهم معاملة الحيوان الأعجم كائناً من كان...([31]) ولعله لهذا ولغيره من دسائس الحيل، قال سبحانه وتعالى:

{ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ}([32])

وحيث إنّ الكرامة التي تسير إليها الإنسانية، وتصل إليها، وتتصوريها، حقيقة نفسية نفيسة وليست اعتباراً تناله يد الجهل والوضع، إيجاباً تارة، وسلباً أخرى. وحيث إنّ الحقائق لها مبادٍ وأسباب خاصة تجب بها وتمتنع دونها، فللكرامة صراط مستقيم يوصل إليها من سلكه، ولا يمكن الوصول إليها بدونه، فلها سبيل خاص يهدي سالكه إليها، ولا يمكن نيلها بأي سبيل آخر. ومن هنا يتضح الفرق بين السياسة الإسلامية وغيرها من السياسات المادية التي لا تعرف الكرامة. إذ إنّ الأهداف هناك تبرر الوسائل كائنة ما كانت(نحو هلاك الحرث والنسل) ولذا يسومون الضعاف سوء العذاب ويذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وإذا ما بطشوا بطشوا جبارين ولا يعرفون إلا أهدافهم المشؤومة، بخلاف السياسة الإسلامية التي لا تُجوّز الانتصار بالجور، ولا تسمح بالظلم ولا تجعله ذريعة إلى الفتح والغلبة كما قال علي(ع):

(أتأمروني أن أطلب النصر بالجور)([33])

ومنشأه هو قول الله تعالى:

{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ}([34])

والى هذا الأصل المهم، أشار مولانا السجاد(ع) بقوله:

(يا من لا تغير حكمته الوسائل)([35])

لأن الحكمة هي الصفة الخاصة التي تقتضي إيصال كل موجود إلى كماله المقدّر له، ولا تتغير بالذرائع والوسائل بأن لا تقتضي الإيصال إلى الكمال، أو تقتضي الإيصال إليه من غير سبيله.

نعم, قد يترك المهم للفوز بالأهم ولكنه مضبوط يعرفه العقل، ولا ينكره الشرع. كما أن له ميزاناً خاصاً لا يمكن أن يتعدّاه. فكم فرق بينه وبين ما مرّ من تبرير الهدف وسائله الموصلة إليه كائنة ما كانت ولو بسفك الدماء البريئة:

{إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}([36])

ولذا ترى السياسة المادية الطاغية أنّ أهدافها المرسومة لها قبل الانتصار تبرر لها الوسائل، فلا تتورع عن افتراسها وتكالبها ونهبها وسبيها وإحراقها وما إلى ذلك بعد الغلبة والفتح. وأما السياسة الإسلامية الكريمة فتمتنع عن ذلك كله حدوثاً وتنهى عنه بقاءً، ولذا قال علي بن أبي طالب (ع) لجيشه:

(لا تقتلوا مدبراً، ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح)([37])

ودعا ربه بقوله:

(... ان أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، وسددنا للحق، وان أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة، واعصمنا من الفتنة)([38]).

فإذا تبيّن إجمالاً أنّ السياسة الإنسانية تكمن في كرامتها، وأنها تدور معها حيثما دارت، ولا تحيد عنها، فيلزم البحث عن مقتضى الكرامة وشؤونها المهمة ولوازمها وآثارها فيما يلي:

السياسة الإسلامية تنفي سلطة غير الله على الإنسان

إنّ الكرامة تقتضي أن لا يعبد الإنسان إلاّ ربّه ولا يطيع إلاّ خالقه الذي هو خالق كل شيء، ولا يخضع إلا له، ولا يحتاج إلا إليه، ولا يسأل إلاّ إيّاه، ولا يتوكل إلاّ عليه ولا يثق إلاّ به. كما أمر الله تعالى أكرم خليقته وأشرف بريّته(ص) بذلك، حيث قال:

{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}([39])

ثم أمر الناس باتخاذه(ص) أسوة، فقال عزّ من قائل:

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}([40])

فليس لغير الله تعالى سلطة على الإنسان كما بيّنه تعالى بقوله:

{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}([41])

وبقوله تعالى:

{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}([42]).

فليس لأحدٍ أن يدّعي السلطة على الناس. كما أنّ الكرامة الإنسانية تأبى الخضوع لغير الله، فلا إله إلا الله ولا رب سواه.

وأما طاعة الأنبياء العظام، والمرسلين الكرام، والأئمة البررة، ففي الحقيقة إطاعة الله؛ لأن الإمام لا شأن له إلا الخلافة عن الرسول، والرسول بما أنه رسول لا شأن له إلا إبلاغ ما يتلقّى من الوحي بلا زيادة ولا نقيصة؛ لأنه {مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} فليس له أن ينطق بما يهوى، أو يحكم بين الناس بما يرى، بل يحكم بينهم بما أراه الله، حيث قال:

{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ}([43])

{وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ}([44]).

{فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى}([45]).

وحيث إنّ الحكم لابد وأن يكون بالحق، وأنّ الحق لا يكون إلاّ من الله فحسب كما قال تعالى:

{لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}([46])

فالحكم لا يكون إلا بما أنزل الله، وأما الحكم الذي لا يكون بالحق (أي بما أنزل الله) فهو جور وجاهلية ـ شرقية كانت تلك الجاهلية الجائرة أم غربية ـ حيث قال الله تعالى:

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}([47])

وكما أنّ لا شيء عدا الحق إلا الضلال، إذ:

{فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ}([48]).

فكذلك ماذا بعد الحكم بالحق إلا الجاهلية؟ فتحصّل أنّ الرسول(ص) وكل من كان إماماً معصوماً، فهو مع الحق، كما أنّ الحق معه، يدور معه حيثما دار، ولكن الحق من الله فكم فرق بين موجود يكون مع الحق وبين مبدئه المتعال الذي يكون منشأ الحق ومنه الحق. فعلى هذا التحليل تكون إطاعة الولي المعصوم، هي إطاعة الله لُبّاً، كما أشار إليه قوله تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ}([49])

حيث يدل على أنّ إطاعة الرسول إنما هي بإذن الله، وحيث إنّ:

{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}([50])

فحكم الله تعالى بإطاعة الرسول، مسبوق بتعليمه الحق إيّاه، وأمره بإبلاغ ذلك الحق إلى الناس، ثم أمر الناس بإطاعة ذاك الرسول.

وحاصله؛ إنّ إطاعة الرسول(ص) ـ بما أنه رسول ـ تكريم للرسالة، وأنّ الرسالة ـ بما هي رسالة ـ لا شأن لها إلا إظهار الحق من الله، سواء كان في التشريع بالإيجاب والتحريم، أو في التكوين بالإحياء والإماتة ـ مثلاً ـ لأنه مظهر فعله تعالى على التوحيد الأفعالي، يده بمنزلة يده تعالى، كما أشار إليه بقوله:

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}([51]).

على غرار قوله تعالى

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى}([52])

فحينئذ تنحصر الطاعة في أمر الله تعالى ونهيه، فما وافق حكمه تعالى يطاع، وما خالفه يطرح ـ كائناً ما كان ـ كما قال رسول الله(ص):

(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)([53])

وحاشا الرسول(ص) والإمام المعصوم(ع) أن ينطقا بما يخالف الحق، أو يأمروا بالباطل أو يعملا بما يهويانه، فتبيّن أنّ النبي(ص) وإنْ كان { أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}([54])

إلاّ أنّ تلك الولاية هي من مظاهر ولاية الله تعالى. فهو(ص) مظهر السلطة الإلهية، لا أنه سلطان مستقل بنفسه. ومما يؤيد أنّ النبوة والرسالة ـ بما لها من الشؤون المهمة ـ مظهر لقولِ الله تعالى وفعله، ومجلى لقهره ولطفه، ومرآة لجماله وجلاله تعالى، قوله تعالى:

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}([55])

حيث يدل على أنّ شيئاً من أقاويله التي يبلّغها لا تكون من عنده، وتقوّلاً على الله وافتراءً عليه، وإلاّ لكان ما كان من الأخذ باليمين، وقطع الوتين مع عدم الحجز والمنع من أحد؛ لأنه تعالى هو القاهر فوق عباده، ولا رادَّ لقضائه{ ولا معقّب لحكمه}([56])

وهكذا سيرته (ص) وسنّته العملية التي تكون حجةً إلهية للناس، سيرة مرضية إلهية، حسبما أُشير إليه, وحيث إنّ جميع شؤونه(ص) مظاهر شؤون الله الذي كان يوم هو في شأن، فمن كذّب شيئاً في أقواله أو أفعاله(ص) فإنما كذّب الله تعالى في قوله وفعله، حيث قال تعالى:

{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}([57])

لدلالته على أنّ تكذيبه (ص) ليس تكذيباً لشخصه، وردّاً لمقالته من حيث هو شخص خاص وإنسان مخصوص، بل هو جحد وإنكار لآيات الله تعالى؛ لأن رسول الله(ص) بقوله وفعله وقلبه وقالبه آية إلهية، فتكذيبه (ص) تكذيب الله، كما أنّ تصديقه تصديق الله تعالى. ومما يرمز إلى ذلك من أنّ جميع تلك الشؤون الدينية إنما هي بالأصالة لله تعالى، وإنما هي لغير الله من جهة كونه آية له ومظهراً محضاً له، قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}([58])

حيث إنه تعالى ثلّث الأمر أولاً، وثنّاه ثانياً، ووحّده ثالثاً؛ لأنه في أول قوله تعالى أوجب إطاعة الله، وإطاعة الرسول، وأولي الأمر، وفي ثاني قوله تعالى جعل الحكم والمرجع الذي يرجعون إليه عند التنازع أمرين: أحدهما نفسه تعالى، والثاني رسوله (ص)، ولم يذكر لأولي الأمر اسمٌ؛ لأن جميع شؤون أولي الأمر إنما هي مبرزات شأن الرسول، ومظاهر سنّته وليس لغيره (ص) شأن مستقل([59])، وفي ثالث قوله تعالى وهو ذيل الآية الكريمة، جعل المعيار والميزان في ذلك الطوع.

وهذا الرجوع أمراً واحداً، لا ثاني له، ولا شريك له: هو الإيمان بأن الله تعالى هو الأول الذي منه يصدر كل شيء، والآخر الذي إليه ينتهي كل شيء، فليس لغيره تعالى شأن مستقل. وهذا هو التوحيد وعياً وإرادة، فتدبر.

فتحصّل أنّ السياسة الإسلامية التي تدور مدار كرامة الإنسان، وتقتضي أن لا سلطة لأحدٍ على أحد. فليس لأحدٍ أن يدّعيها، وليس لأحدٍ أن يتحمّلها، بل هي لله تعالى فحسب. ففي أي مورد حكم الله تعالى بالإتباع، وجب إتباعه طوعاً ورغبةً، وفي أي مورد نهى الله تعالى عنه، وجب الانتهاء عنه. وقد أمر تعالى بإتّباع رسوله، حيث قال:

{مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}([60])

وقال تعالى أيضاً:

{خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ}([61])

أي بقوة القلوب وقوة الأبدان، فيجب أخذ ما آتاه الرسول بقوة القلب والقالب معاً.

محور السياسة الإسلامية، الأمة الواعية والإمام العادل الحق

قد تقدّمت الإشارة إلى أنّ الحياة الإنسانية الاجتماعية لا تتحقق بدون النظام والتشكيل، وهو قد يكون بالشورى، وقد يكون بالإمامة، بمعنى أنّ الحاكم الذي يرجع إليه في حلّ المشاكل، وبِيَده أزمة أمور الملكة وتنفيذها، وحفظ ثغورها، وجباية أموالها والذبّ عنها، ودعوة الناس إلى النفر والحرب، والصراع أو السلم، والمعاهدة والمهادنة، وما إلى ذلك، هل هو شخص واحد جامع لجميع الشرائط، أم أشخاص عديدون يتشاورون ويتبادلون وجهات النظر فيؤخذ بالمُجمع عليه أو المشهور بينهم ـ لأنهم إما أن يتفقوا على أمر فهو المُجمع عليه، أو يختلفون فيه بالأكثر والأقل فهو المشهور لديهم ـ ولكل من المسلكين فوائد ومزايا، ولكن الأولى هو الأول مهما أمكن؛ لِمَا جرت عليه سيرة الأنبياء حيث لم تعهد نبوة استشارية، ولا رسالة بالشورى، بل إنّ تعدد الأنبياء في عصرٍ ما إن كان يختص كل واحد منهم بقوم وقطر من الأرض، أو كان بعض منهم تابعاً لآخر نحو تبعية لوط لإبراهيم(ع) {فآمن له لوط} (العنكبوت:26) أو نحو تبعية هارون لموسى(ع) وإن كان شريكاً في أمره،ولكن لم يكن مساوياً له، بل كان وزيراً وعضداً لموسى(ع) وهكذا جرت سمة الإمامة للأئمة (عليهم السلام) حيث إنه لم تعهد إمامة استشارية، ولا خلافة وإمامة بالشورى، بل إنّ تعدد الأئمة في عصر كانت إمامة بعضهم بالفعل دون بعض، وإن أمكن أن تكون ولايتهم التكوينية وما لهم من المقامات النفسية (التي لا تنالها يد الجعل والنصب الاعتباري كما لا تصل إليها يد النزع والغصب) بالفعل.

وأما المشورة وإن ورد في مدحها إنه:

(ما خاب من استشار)([62])

وأنه:

(من أستبدّ برأيه هلك)([63])

وفي صلاح الزوجين اللذين يخاف شقاقهما دعوة إلى بعث الحَكَمين ولكن في الفصال والطلاق، ورد:

{فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا}([64]).

وهكذا ورد في مدح سيرة المؤمنين الواجدين لعدة شروط:

{أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}([65])

وهكذا أمر الله رسوله(ص) بالمشاورة حيث قال تعالى:

{وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ}([66])

ولكن لا يدل شيء من ذلك على لزوم كون القيادة بالمشورة والزعامة بالشورى. أما الأدلة الدالة على حسن الاستشارة، فليست على حد يعارض ما يدل على نظام الإمامة وأن الناس يحتاجون إلى إمام يديرهم؛ لأن لسان تلك الأدلة هو مدح المشورة الذي لا كلام فيه دون تعيين كيفية الحكومة، وأما ما يدل على أنّ أمر المؤمنين بالشورى ففيه:

أولاً: أنه يختص بما كان ذلك الأمر هو أمرهم، يعني إذا كان تعيينه بأيديهم، وأما إذا كان هو أمر الله لا أمرهم، فلا مجال للشورى فيه.

وحيث إنّ السياسة الإسلامية ـ كما تقدم ـ تقتضي أن لا يكون لأحد على أحد سلطة إلا من قِبَل الله تعالى وتعيينه، فتعيين كيفية الحكومة والسلطة بيد الله تعالى، فهو أمر الله، لا أمر الناس حتى يشاور بعضهم بعضاً ويستشيروا، ولو سلّم فإنما الاستشارة في تعيين القائد، لا أن تكون القيادة بالشورى(وكم فرق بينهما) وما وقع في صدر الإسلام كان من قبيل المشاورة في تعيين الزعيم، لا أنه كانت الزعامة بالشورى. والى هذا الأمر الدقيق أشار مولانا علي بن أبي طالب(ع) بقوله:

(... وإنّما الشُّورى للمُهاجرينَ والأنصارِ، فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى، فإن خرجَ عن أمرهمْ خارج بِطعنٍ أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوهُ على إتّباعهِ غير سبيلٍ المؤمنينَ وولّاه الله ما تولّى)([67]).

حيث بيّن (ع) أنّ أمرهم إنما هو تعيين الإمام بالمشاورة، لا أنّ الإمامة بالشورى بأن يكون هناك أئمة يتشاورون، وأن تكون القيادة بالشورى.

نعم, للإمام أن يستشير قومه، ويشاورهم، ولكن التصميم بيده، والعزم بإرادته، والحزم بقلبه، فلذا قال تعالى:

{ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ}([68]) حيث جعل العزم النهائي، والتصميم الغائي بيده. ومن هذا الباب قال علي (ع) لابن عباس:

(لك أن تشير عَلَيَ وأرى، فإن عصيتك فأطعني)([69])

وأصل ذلك، قوله تعالى:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}([70])

حيث يدل على أنّ أمر الرسالة، وتصميم الرسول، ليس بالشورى، فليس لغيره حق في النظر النهائي، والتصميم الغائي، وهكذا من هو بمنزلة الرسول، هو الإمام العدل الحق.

فتحصّل أنّ الشورى إنما هي في تعيين القائد وانتخابه، لا في القيادة إلا أن تتعذر الإمامة، ولم تتيسّر لشخص مُعيّن، وادّعى غير واحد القيادة، ولم يمكن تعيين أحدهم، فحينئذ لا علاج إلا بأن تكون القيادة بالشورى حسماً للتشاحّ، وفصلاً للتنازع(نعوذ بالله منه).

بقي هنا أمران: أحدهما؛ لزوم كون الأمة واعية في انتخاب إمامها، وثانيهما؛ لزوم كون الإمام جامعاً لشرائط الإمامة. وكلاهما في غاية الأهمية في السياسة الإسلامية.

أما الأمر الأول، فيلزم أن تكون الأمة من الوعي بدرجة تكفيها لمعرفة شرائط الإمامة، وفي اجتماعها فيمن يدّعي الإمامة، أو يريدون تعيينه لها. وهذا الأصل هو الموجب لأن يكون لرأي الجمهور قيمة، وإلا فلا قيمة لرأي من لا يعرف الإمامة وشؤونها وشرائطها، ولا لرأي الجمهور الجاهل بشأنها، وإنما القيمة لرأي من يعلم الحق ويعرفه. كما قال عزّ من قائل:

{ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ}([71])

حيث إنه تعالى جعل معيار التشخيص والتحقيق، رأي العلماء، ومَنْ آتاه الله العلم، وإلاّ فلا واقع له. وهكذا استدل رسول الله(ص) واحتجّ على قومه بقوله:

{ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}([72])

يعني أنهم لو تفكروا لعرفوا أنه رسول الله، وأنّ ما جاء به هو وحي أنزله الله، فيؤمنون به(ص)، ويخضعون لأمره خضوعاً لأمر الله تعالى، وأما الذين لا يعرفون الإمامة وشرائطها، ولا يعلمون الحكومة وشؤونها: فلا كرامة لهم ـ كما تقدم ـ ولذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

{... فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ}([73])

يعني أنّ فرعون، وَجَدَ قومه خفاف العقول، خالين من المعرفة والتحقيق، وقد عمل هو شخصياً على تركيز الجهل وعدم المعرفة لديهم بحرمانهم من الوعي والتعليم، ثم طلب منهم الطاعة فأطاعوه إماماً.

والجهل داء لا دواء له؛ لأنه لا فقر أشد من الجهل، كما أنه لا مال أعود من العقل، فياليت الشعوب والجماهير نبهّت الحكومات ووعّتها حتى ينقطع شرّ الطغاة والفراعنة:

{ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}([74])

وحيث إنّ القرآن هو عين الكرامة، ولا يمسّ كرامته شيء من الإهمال، وكان العمل به موجباً لأن تصير الجامعة الإنسانية كريمة ـ كما تقدم ـ فقد عين واجب الأمة في انتخاب إمامها بأنه لابد وأن تكون الأمة واعية، وعارفة، وذكية؛ كي لا تتحمّل الضيم. وقال تعالى:

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ* كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلى عَذَابِ السَّعِيرِ}([75])

يعني أنّ الكلام في الله تعالى، لابد وأن يستند إلى علم عقلي، أو نقلي معتبر، فمن يجادل فيه بغير علم فهو جاهل، ويكون انتخابه وتعيينه من يحكم عليه بغير وعي ومعرفة. فلذا يتبع كل إمام وزعيم وقائد كائناً من كان شرقياً أو غربياً، ملحداً أو منافقاً، خائناً أو عميلاً للأجنبي، فيتبع كل شيطان متمرد على حكم الوحي والعقل. فهذه الأمة الخفيفة الوعي.. يمتلكها كل شيطان مارد ، تنهب معادنها وذخائرها الأيادي الخائنة، فتذهب هذه الأمة الجاهلة ضحية جهلها وحرمانها من كرامتها التي يدعوها إليها الإسلام ويأمرها بها.

وأما الأمر الثاني: فيلزم أن يكون الإمام مع كونه عادلاً ـ بإطاعة مولاه في جميع ما أمره به وندبه إليه بالإتيان، وفي جميع ما نهاه عنه وزجره عنه بالإمتناع والانتهاء عنه بترك الأهواء والميول([76])ـ صائناً لنفسه، ومستقلاً في رأيه، ومالكاً لوعيه، وحراً في إرادته، حتى لا يطمع فيه أهله، ولا غير أهله، ولا ينفذ إلى قلبه من كان من أهله أو أجنبياً عنه، ولا يمكر به الداخلي ولا الخارجي، ولا يستفزّه القريب والغريب، ولا يستخفّه الصديق والعدو، حتى يليق بزعامة الأمة وقيادة الملة، التي يعمل التقي بخلاف غيرها من الأنظمة الفاجرة التي يتمتع فيها الشقي([77]).

ولقد عيّن القرآن الكريم وظيفة الإمام المتبوع بأنه لابد وأن يكون عالماً بالله، وهادياً إلى سبيله، وسائراً في صراطه، حتى لا يضل الناس ولا يمنعهم عن خيرهم المقدّر لهم، حيث قال تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ* ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ}([78])

يعني أنّ المجادل في الله لو لم يكن جداله مستنداً إلى برهان عقلي، أو وحي سماوي بلا واسطة أو هداية مستفادة من الوحي مع الواسطة، يكون ضالاً. فإذا ادّعى الإمامة والمتبوعية والحال هذه، فلا شأن له إلاّ الضلال الموجب لخزي الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة. فكما أنّ منطوق الآية الثالثة من سورة الحج ينادي بلزوم الوعي في الآية، والجمهور كذلك يعنى لزوم القداسة في الإمام حتى يكون إماماً عادلاً، وهادياً إلى صراط العزيز الحميد، كما يلزم أن تكون أمة مرحومة تنال خيرها المقدر لها. وكما أنّ خفّة الأمة وجهلها كانت تستوجب إتباعها لكل شيطان مريد، ولأن يسيطر عليها كل فرعون. حيث إنّ لكل موسى فرعون، كذلك فإن خفّة الإمام وعدم صيانته النفسية وعدم حريته الإرادية توجب لأن يغفل عمن يمكر به، فلذا قال الحكيم في كتابه الكريم:

{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}([79]).

وحيث إنّ المتبوع الجائر إنْ أُتيح له أن يقول (ما علمت لكم من إلهٍ غيري) وأن يقول (أنا ربكم الأعلى) لا يتحاشى عنه مع استخفاف التابعين، فإن لم يمكن له ادعاء الإلوهية فهو يقنع بادّعاء الظلّية، ويقول (أنا ظل الله) وما إلى ذلك مما لا يقوله إلا الخفيف، ولا يقبله إلا المستخف، فكلاهما في النار، لقوله تعالى:

{ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ}([80])

{ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}([81])

والسر في ذلك كله هو أنّ كل أناس يلحقون بإمامهم يوم القيامة، كما قال عزّ من قائل:

{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ}([82])

وحيث إنّ الأمة الجاهلة تدور مدار العصبية والشيطان، كما قال علي بن أبي طالب(ع) في وصف الشيطان بأنه:

(إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين)([83])

فلذا تحشر الأمة الجاهلة معه في جهنم، كما في قوله تعالى:

{ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}([84])

إنّ السياسة الإسلامية تعتقد أنّ الأمة أمانة، وأنّ الإمام أمينها، وتصرّح بأن النظام الإسلامي يستقر على ركنين؛ أحدهما؛ الأمة الواعية، وثانيهما؛ الإمام العادل الحق. فاللازم هنا التصريح بأن مقتضى الكرامة السائسة هو أن تكون الأمة بقضّها وقضيضها، ونفسها ونفيسها، أمانة إلهية، وأن يكون الإمام أمين هذه الأمة، لا يخونها أصلاً، بل يعلّمهم الكتاب والحكمة، ويزكّيهم، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، ويشاورهم فإذا عزم فليتوكل على الله، ويُبيّن لهم ما جرى لهم وعليهم، ويحفظ كيانهم، ويطرد عنهم الفقر الفكري والمالي، ويذبّ عن حريمهم، ويسد ثغورهم، وما إلى ذلك من شؤون القيادة كل ذلك بأيديهم وأنفسهم ونفائسهم وأبدانهم وأموالهم؛ لأن ارتباط الأمة والإمام، إرتباط الأعضاء والقلب، كما إستفاده هشام بن الحكم من جعفر بن محمد الصادق(ع) واحتجّ به على عمرو بن عبيد المنكر للإمامة المعهودة والقيادة الخاصة([85])والدليل على كون الأمة أمانة بيد الإمام، ما قاله موسى(ع) لقوم فرعون:

{ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}([86])

يعني يجب عليكم أن تؤدوا هذه الأمانة (التي لا ربّ لها إلا الله) إليّ لأنيّ رسول أمين في أصل الرسالة والإبلاغ، وأمين في حفظ هذه الأمانة الإلهية:

{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}([87])

يعني يلزم أن تكون أمة بني إسرائيل تحت تدبير موسى(ع) وتربيته (ع) ويكون هو (ع) كفيلاً لهم، وحافظاً إيّاهم حسبما أشير إليه، وكما أنّ الإمامة عهد إلهي لا ينال الظالمين ولا يمسّ كرامته الظالمون، كذلك الأمة أمانة إلهية لا تؤدّى إلاّ إلى أهلها وهو الإمام العدل الحق، وكما أنّ النصيحة لأئمة المسلمين من التكاليف المهمة التي لا يغل عليها قلب امرئ مسلم، كذلك خيانة الأمة أعظم الخيانة، وغش الأئمة أفظع الغش، كما قال علي بن أبي طالب (ع):

(من استهان بالأمانة، ورتع في الخيانة، ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا، وهو في الآخرة أذل وأخزى، وأن أعظم الخيانة، خيانة الأمة، وأفظع الغش غش الأئمة)([88])

وحيث إنّ الأمة بدمّها وعرضها ومالها أمانة بيد الإمام، فلو خان المنصوب من قِبَله في شيء من ذلك، فقد ارتطم بأعظم الخيانة بالنسبة إلى الأمة وارتكب أفظع الغش بالنسبة إلى الإمام. فلو رضي الإمام بذلك، فقد ابتُلي بذلك أيضاً، حيث إنه إنما يجمع القوم الرضا والسخط مضافاً إلى أنّ العامل منصوب من قِبَل الإمام ويعدّ فعله فعلاً له، وإطاعة مثل هذا الخائن من فواقر الظهر، كما قال رسول الله (ص) لعلي(ع):

(أربعة من قواصم الظهر: إمام يعصي الله عز وجل ويطاع أمره.. الخ) ([89]) وذلك لأن الخيانة والغلول وإن كانا من الكبائر والموبقة لكل أحد إلاّ أنهما للإمام الوالي لأمر الأمة أشدّ وأدهى وأمرّ، ولذا قال تعالى:

{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}([90])

والإمام الخائن فتنة لمن افتتن به، مُضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته، من الذين يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم فهو مع كونه رهناً بخطيئته؛ لأن كل نفس بما كسبت رهينة، كذلك حمّال خطايا غيره من الذين أغواهم وأضلّهم، ومن سنَّ سنة سيئة فعليه وزر من عمل بها مع أنّ عامل تلك السيئة أيضاً رهن لها، فعلى الإنسان وزران، وعلى العامل وزراً واحد.

والحاصل أنّ الأمة بجميع شؤونها أمانة إلهية بيد الإمام، ولذا يكون الإمام مأموراً بمعرفتها وحفظها وإصلاحها كما كان رسول الله(ص) كذلك حيث قال تعالى له:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}([91])

لأن مرونة الإمام، وانعطافه إلى الأمة، وحنينه نحوها، يوجب انجذابها إليه، ويمنع انفضاضها وتفرّقها عنه، بل لا تهجر هذه الأمة إمامها في الضرّاء كما تكون معه في السرّاء، ولا تحيد عنه في العُسر كما تكون معه في اليسر، ولا تنفض من حوله حال الغلاء والمجاعة والمخمصة كما تطوف حوله حال الرخص والخصب، رغماً لأنف من زعم أنّ الفقر الاقتصادي والمخمصة ونحو ذلك يوجب انفضاض الأمة من حول إمامها. فلذا قال تعالى:

{ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ}([92])

والسر في ذلك هو الأصل الذي تدور معه السياسة الإسلامية، وهو أصالة الكرامة التي توجب تحمّل أعباء الفقر الاقتصادي، وتمنع من تحمّل التحقير والتوهين وخشونة الزعيم وغلظته، فالذي يجمع شتات الأمة هو رأفة الإمام كما قال تعالى:

{لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ}([93])

لأن الإمام وإن كان منهيّاً عن الإلتفات إلى من جمع مالاً وعدده، وألهاه التكاثر، ولكنه مأمور بخفض الجناح لمن اتبعه من المؤمنين. ولذا وصف الله نبيه(ص) بالرأفة والرحمة، حيث قال:

{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}([94])

ومن آثار رأفته المباركة ورحمته الكريمة، هو تأسّفه الشديد على حرمان بعض الأمة من قبول ما جاء به، كما قال تعالى:

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}([95])

وقال تعالى مسلّياً رسوله(ص):

{ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}([96])

وحيث إنّ مقتضى نظام الإمامة والأمة أن يكون الإمام رؤوفاً بأمته، ورحيماً بها، فقد أوصى إمام الأمة علي بن أبي طالب(ع)، مالكاً الأشتر حين ولاّه مصر بذلك وقال:

(.. وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبُعاً ضارياً، تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق..)([97])

ومن فوائد رأفة الإمام الأمين بأمته التي هي أمانة عنده، هو أنّ الأمة لا تنفض من حوله في الشدائد، بل في مطلق ما يلزم حضورها واشتراكها، كما قال تعالى:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}([98])

حيث وصف الأمة المؤمنة ـ حقاً ـ بالاجتماع مع إمامها، وعدم ذهابها إلى حوائجها الشخصية إلا بعد الإذن، ومن ذلك حديث حنظلة غسيل الملائكة المعروف بين أصحاب السير. والسر في ذلك هو الفرق بين الناس وبين الأمة، فالناس لا جامع لشتاتهم ولا عامل لوحدتهم، دون الأمة فإن لأعضائها هدفاً واحداً، يأتمّون من أجله بإمامهم حتى يصلوا إليه، وبما أنهم يؤمّون مقصداً واحداً لذلك قيل لهم ـ الأمة ـ فإذا كان إمام الأمة رؤوفاً بها، فهي أيضاً تحنّ إليه وتشتاقه؛ لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، كما أفاده رسول الله(ص)([99]) ولعله لذلك كلّه صار سيد المرسلين حبيب الله، يحب الله، ويحبّه الله، وهو من أفضل مصاديق قوله تعالى:

{فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}([100])

وكان إتّباعه (ص) هو طيّ سبيل المحبة، وموجباً لأن تصير الأمة التي تؤمّه وتأتمّ به(ص) محبوبةً لله تعالى، كما قال تعالى:

{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ}([101])

فعلى أئمة المسلمين، أن يتأسّوا برسول الله (ص) الذي كان أسوة المحبة، وقدوة الرأفة، وممثل الرحمة بالنسبة لأي موجود كان في سبيل الله.

كما نقل مالك في (الموطأ) باب جامع ما جاء في أمر المدينة ص (644) عن هشام بن عروة عن أبيه: (إن رسول الله(ص) طلع له أُحُد فقال: هذا جبل يحبّنا ونحبّه)([102]) لأنه (ص) ممن يشاهد كل موجود بما أنه آية ومُسبحٌ لله سبحانه ويفقه تسبيحه، فإذا بلغ الإمام حدّ الأمانة والرأفة والرحمة والمحبة للأمة، يصير ممن يستجاب دعاؤه كما قال رسول الله(ص).

(أربعة لا ترد لهم دعوة: إمام عادل([103]) فلا يدعو بخير إلا ويستجيب الله تعالى له.. الخ).

ولمكان الاهتمام برأفة الإمام بالأمة ورد ما نقله مالك في الموطأ باب ما جاء في حسن الخلق، أن معاذ بن جبل قال:

(آخر ما أوصاني به رسول الله(ص) حين وضعت رجلي في الغرز أن قال (أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل).

نعم, إنّ صاحب الخلق العظيم لا يوصي إلاّ بحسن الخلق.

والحاصل أنه لما كان الحق لا يجري لأحدٍ إلاّ جرى عليه، ولا يجري عليه إلاّ جرى له، لذا يجب على كل واحد من الأمة والإمام، العمل بما يجب عليه للغير من حقوق، كما له أن يطالب الغير بأداء ما عليه من الواجبات، وهذا من أعظم ما افترضه الله سبحانه، كما قال علي بن أبي طالب(ع):

(وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي. فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لأُلفتهم وعزّاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية. فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عزّ الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور، وكثر الادغال في الدين، وتركت محاج السنن فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه).

إلى آخر ما أفاده أمير البيان([104]) ولقد أغنانا بذلك عن بيان لزوم رعاية الحقوق المتبادلة بين الإمام والأمة. ويا له من بيان وحق له(ع) أن يقول:

(إنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشّبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه)([105]) ولا وقع للمصباح عند الصباح.

نعم, إنّ الذي كان يحب الله ورسوله، وكان الله يحبّه ويحبّه الرسول لا يوصي الوالي والرعية إلا بما يورث المحبة الإلهية وهو القيام بالقسط في الحقوق المتقابلة.

([1]) سورة لقمان:33.

([2]) سورة الأعلى:14

([3]) سورة طه: 64.

([4]) ولكن فسره رسول الله(ص) بقوله: ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وأن كان مظلوماً فلينصره(الجمع لصحيح مسلم الجزء الثامن (ص) باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً).

([5]) نهج البلاغة ص 421.

([6]) النساء: 105.

([7]) هود:113.

([8]) المائدة: 2.

([9]) بحار الأنوار: ج2 ص 32

([10]) الاقتصاد للشيخ الطوسي ص (14)

([11]) الإسراء: 14.

([12]) النحل:90.

([13]) الأعراف:29.

([14]) القصص: 79.

([15]) النحل: 92.

([16]) نهج البلاغة.

([17]) من لا يحضره الفقيه ج4، ص 262.

([18]) من لا يحضره الفقيه، ج4 ص 269 - 270.

([19]) من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 362

([20]) من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 270.

([21]) الصحيفة السجادية دعاء 28.

([22]) الصحيفة السجادية دعاء 13.

([23]) الصحيفة السجادية دعاء 35.

([24]) العلق: 3 - 5.

([25]) البقرة: 281.

([26]) الإسراء: 70.

([27]) الصحيفة السجادية دعاء 1.

([28]) من لا يحضره الفقيه ج4، ص 273.

([29]) خطبة حجة الوداع 1.

([30]) آل عمران: 75.

([31]) الميزان: ج3 ص 286.

([32]) المائدة: 13.

([33]) نهج البلاغة الخطبة 126

([34]) الزمر: 64.

([35]) مصباح الكفعمي ص 769

([36]) النمل: 34.

([37]) نهج البلاغة: الكتاب 14.

([38]) نهج البلاغة الخطبة 171.

([39]) الأنعام:162.

([40]) الأحزاب: 21.

([41]) آل عمران: 79 - 80.

([42]) المائدة: 116 - 117.

([43]) النساء: 105.

([44]) المائدة: 49.

([45]) ص: 26.

([46]) يونس: 94.

([47]) المائدة:50.

([48]) يونس:32.

([49]) النساء: 64.

([50]) الأحزاب: 4.

([51]) الفتح: 10.

([52]) الأنفال: 17.

([53]) نهج البلاغة ص(50) صبحي الصالح، من لا يحضره الفقيه: ج4ص (372).

([54]) الأحزاب: 6.

([55]) الحاقة: 40 - 47.

([56]) الرعد: 41 مضافاً إلى أنه قد يكون مورد التنازع هو نفس ولي الأمر.

([57]) الأنعام: 33.

([58]) النساء: 59.

([59]) مضافاً إلى أنه قد يكون مورد التذرع هو نفس أولي الأمر.

([60]) الحشر:7.

([61]) البقرة: 63.

([62]) شرح مسند أبي حنيفة: ص 517

([63]) بحار الأنوار:ج65 ص 295

([64]) البقرة: 233.

([65]) الشورى: 38.

([66]) آل عمران: 159.

([67]) نهج البلاغة الكتاب 6.

([68]) آل عمران:159.

([69]) نهج البلاغة: الكلمات القصار: ص 531، د. صبحي الصالح.

([70]) الأحزاب: 36.

([71]) سبأ: 6.

([72]) يونس: 16.

([73]) الزخرف: 54.

([74]) الأنعام: 45.

([75]) الحج: 3- 4.

([76]) في صحيح مسلم عن رسول الله (ص): حرم الله الجنة على الوالي الغاش لرعيته الجزء الأول ص (88).

([77]) نهج البلاغة، الخطبة 40.

([78]) الحج: 8 - 9.

([79]) الروم: 60.

([80]) القصص: 42.

([81]) هود: 98.

([82]) الإسراء: 71.

([83]) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: 192. د. صبحي الصالح(ص:286).

([84]) الأعراف: 18.

([85]) أصول الكافي ، كتاب الحجة.

([86]) الدخان: 18.

([87]) الأعراف: 104 - 105.

([88]) نهج البلاغة كتاب: 26.

([89]) من لا يحضره الفقيه ج4، ص 264.

([90]) آل عمران: 161.

([91]) آل عمران: 159.

([92]) المنافقون: 7.

([93]) الحجر: 88.

([94]) التوبة:128.

([95]) الكهف:6.

([96]) فاطر:8.

([97]) نهج البلاغة، كتاب 53.

([98]) النور:62.

([99]) من لا يحضره الفقيه ج4 ص 273 ونهج البلاغة، د. صبحي الصالح ص : 427.

([100]) المائدة:54.

([101]) آل عمران: 31.

([102]) وكذا في صحيح مسلم ج4 ص 134.

([103]) من لا يحضره الفقيه ج4 ص 255.

([104]) نهج البلاغة الخطبة 216 د. صبحي الصالح ص 333 - 334 باب حق الوالي وحق الرعية.

([105]) نهج البلاغة الخطبة 233، د. صبحي الصالح ص : 354.

القسم الثاني: الحقوق في الإسلام إنما هي للصالحين من عباد الله

إذا اتّضح أنّ نهج الحكومة وشكل النظام السياسي في الإسلام إنما هو نظام الإمام والأمة، واتّضح أنّ لكل واحد منهما حقّاً يتبع, يلزم الإشارة إلى أنّ العناصر الإنسانية في هذه الحكومة لابد وأن يكونوا عباداً صالحين لله، كما قد عيّن القرآن الكريم خطوطها الأساسية بقوله تعالى:

{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}([1])

والمنّة هي النعمة العظمى، والمنحة الكبرى التي يعسر حملها، ولقد جعل القرآن لبعض النِعَم المهمة. خصيصة لا توجد في غيرها، كالرسالة التي عبّر عنها بقوله تعالى:

{ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً}([2])

وكالإمامة كما في الآية السالفة الذكر، وكذا في الهداية إلى الحق كما قال:

{ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ..}([3])

فنعمة الإمامة منحة عظيمة يعزّ فيها الحق وأهله، ويذلّ فيها الباطل وأهله، ويحيى فيها العدل ويموت فيها الظلم، ويحيى فيها التوحيد، ويموت فيها الشرك، ويعيش فيها المستضعف المضطهد، ويفنى فيها المستكبر المترف كما قال تعالى:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ* وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ}([4])

ولقد صرّح سبحانه بأن صُرح السياسة الإسلامية مبني على الكرامة البالغة، وهي الخشية من الله تعالى التي لا ينالها إلاّ العلماء:

{... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء..}([5])

لأنها خشية مقام الرب تعالى وخوف وعيده سبحانه. فلو لم تكن هذه الفضيلة في الولاة لما صاروا حكّاماً إلهيين، ولما أمكن لهم أن يطردوا الطغاة، ولما قَدروا على أن يروا فرعون كل عصر وهامان كل دورة ما كانوا يحذرون. فإذا خافوا مقام ربّهم، وخافوا وعيده، ونهوا أنفسهم عن الهوى، ولم يؤثروا الحياة الدنيا، نَجَز وعد الحق سبحانه لهم، وتنجّز وعيده سبحانه على أعدائهم؛ لأن رسول الله(ص) قال:

(من خاف الله عزوجل خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء)([6])

ومن أروع مصاديقه ما قال سبحانه في عزّة المستضعفين من بني إسرائيل وذلّة الطغاة الحاكمة عليهم:

{ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ * وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ}([7])

ولا ريب في أنّ صلاح العباد، وخوفهم مقام ربّهم، وخوفهم وعيده تعالى، ليس هو بالإكتفاء بالعبادة من الصلاة والصوم ونحو ذلك مما يتوهّم أنها كافية في امتثال ما أمر الله به، وفي حصول التهذيب، بل إنما هو بامتثال جميع ما أمر الله تعالى عباده الصالحين به من الجهادين الأكبر والأصغر، والهجرتين؛ الهجرة الكبرى، وهي الهجرة من أي رجس ورجز: {والرجز فاهجر}([8])

والهجرة الصغرى وهي الهجرة من أرض الشرك والظلم، ثم تحصيل العدّة والأهبة لإرغام أنوف الطغاة، وتطهير الأرض من رجسهم، وتخليص الضعاف والمستضعفين الذين لا يجدون حيلة، ولا يهتدون سبيلاً من أيدي ذوي الأوتاد. كما قال سبحانه مشيراً إلى وظائف أئمة المسلمين والحكام الإلهيين على الأرض:

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ*الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}([9])

فبيّن سبحانه أنّ هؤلاء أهل الجهاد والمجاهدة، أهل العبادة والتهذيب والإصلاح لأنفسهم ـ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ـ ولغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعدما ثاروا على الطغاة وطردوهم ونجّوا بيوتاً أذن الله أن تُرفع من أيدي من أراد هدمها وتخريبها ـ وهؤلاء هم الذين يقولون:

{ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}([10])

وبالتالي هؤلاء هم أهل الكرامة الذين إذا قتلوا في سبيل الله بعدما قاتلوا وجاهدوا، يدخلون الجنة، ويلحقون بالمكرمين من عباده سبحانه، كما قال:

{ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}([11])

لأنه جاهد بكلمة عدل عند أئمة الجور.

وحيث إنّ الكرامة تأبى الذل كما تتحاشى الضيم؛ لأن كل واحد منهما نقص يتجنّبه الكريم، فلذا أمروا بالهجرة ورفض الذل والهوان. كما قال تعالى:

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً}([12])

فإنه سبحانه لا يرضى لعباده الذل ولا يمنع الضيم الذليل.

ومن المقدّر الإلهي، المقرر في الإسلام، هو أنه؛ لو صبرت الأمة الإسلامية على الطاعة، وصبرت عن المعصية وعند المصيبة، وصابرت في البأساء والضراء وعند لقاء الأعداء، ورابطت مع إمامها القائم بالقسط، ترث الأرض وتحكم فيها حكماً إلهياً لا حيف فيه ولا جور، لقوله تعالى:

{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}([13])

لأن الكرامة السائسة المناسبة لإرث الأرض هو ما ذكر.

ولَمّا كانت الحياة هي حقيقة تنشأ منها المعرفة والحركة، فمن لا وعي ولا معرفة له بما يصلحه ويفسده، أو لا إرادة ولا حركة له بها يخرج من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، فلا حياة له. إذ الحي هو الدراك الفعال.

فلذا قال سبحانه:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}([14])

ومما يلزم التنبيه له هو أنّ جميع ما جاء به الوحي الكريم موجب للحياة إلاّ أنّ بين أحكامه وأوامره امتيازاً يفضّل بعضها على البعض الآخر، ومن ذلك: الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن حرم الله، والذبّ عن كيان الإسلام, حيث إنه تعالى بعدما أمر في سورة الأنفال في عدة آيات خاصة تحثّ على الجهاد وتبعث صوب الدفاع وتهدي إلى الذبّ عن الكيان الديني. قال:

{ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ }([15])

مشيراً إلى أنّ حياة الأمة رهن جهادها، ومعيشتها مرهونة بدفاعها ودوامها وبقاءها في ضوء ذبّها عن كيانها الإسلامي. فكما أنّ القصاص وإنْ كان قتلاً وإماتة في الظاهر، ولكنه عامل لحياة الأمة، وموجب لبقائها. حيث قال تعالى:

{ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ}([16])

كذلك القتال في سبيل الله، وإنْ كان مصحوباً بالموت، ومشفوعاً بالشهادة في الظاهر، ولكنه عامل لحياة الأمة وموجب لدوامها. فمن لا نفر له إلى المعركة، ولا ثبات قدم له عند لقاء العدو، لا حياة له. كما أنّ من يفرّ من الزحف، ويجبن من العدو، ويرضى بأن يكون مع الخوالف كالمترف فلا حياة له، فهل الكرامة إلاّ هذه السياسة التي ترفض ذلّ الاستعباد وتأنف من هوان الاستعمار وتأبى الضيم والاستغلال علّمها الإسلام حين ما يعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم. فتعال يا صاح واقرأ قوله تعالى:

{لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ}([17])

فتدبر فيه حتى يتبيّن لك كيف أثّرت الكرامة السائسة في نفوس أبيّة، وأُنوف حمية، حيث تفيض أعنيهم من الدمع حين لم يوفقوا لأن تراق دماؤهم بالقتل في سبيل الله. فهل هذه إلا كرامة تطلب الاستقلال الإسلامي، وتهرب من الاستعباد والاستثمار كائناً ما كان:

{ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}([18])

لأن مقالهم هو الله فقط ويذرون المبطلين لاعبين. وترى أيها الباحث الدقيق روح الكرامة قد نفخت في برامج المسلمين، آناء الليل وأطراف النهار، حيث إنه يجب على كل بالغ عاقل أن يقيم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل بالظهرين والمغربين، وكذا صلاة الصبح المُعبّر عنها بقرآن الفجر (الإسراء:78) ويجب عليه أن يقرأ في كل صلاة فاتحة الكتاب مرّتين إذ لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب، ومن آياته قوله تعالى: { اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ } ثم فسّر الصراط المستقيم بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم ـ وأما من هو المنعم عليه، وما هو سيرته وسريرته وسنّته وطريقته، فقد بيّنه الله في مواضع عديدة من كتابه الكريم. ومن تلك المواضع قوله تعالى:

{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ}([19])

يعني أنّ مقال موسى الكليم (ع) الذي نهض يكافح الطاغي ذا الأوتاد هو أن قال لربّه: إنّ شكر نعمة النبوة(وحمد منحة الرسالة، والثناء على موهبة الإمامة التي أنعمتها عليَّ) أن لا أكون ظهيراً للمجرمين فهذه هي الكرامة المتبلورة في القهر على المجرمين المقررة في برنامج المسلم في صلواته. فصلاة كل مسلم دارسة النهضة على الطغيان، والثورة على الظلم، والجهاد ضد الضيم، وبالتالي دراسة الوعي والحرية والثورة على كل من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، ولا ينال هذه الكرامة إلاّ المطهّرون من أدناس الجاهلية، والمنزّهون عن معالمها، وأما من ابتلى بها فتضرب عليه الذلّة والمسكنة لما أُشرب في قلبه حب عجل الدنيا، ولذا تهاجمه كلاب الاستعمار فتقطعه إرباً إرباً، وتمثل به مثلة شنيعة، ولا تغني الكثرة الظاهر عنه. كما قال رسول الله (ص) لثوبان:

(كيف أنت يا ثوبان؛ إذا تداعت عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها؟ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ أمن قلة بنا؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يُلقى في قلوبكم الوهن. قال: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال)([20])

فتدبر أيها الباحث المتفكر في قول رسول الله(ص) حيث قرر أنّ عامل الإنهزام هو الوهن، وأنّ الوهن هو حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، ثم أنظر فلسطين والقدس العزيزة الأسيرة بأيدي الطغاة اللئام مع الكثرة البالغة للمسلمين في أقطار الأرض، حتى يتضح لك أنْ لا سياسة إلا الكرامة التي تأبى الذل والضيم، ولا كرامة إلا في الجهاد والمجاهدة في سبيله تعالى حتى يكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ويكون الدين كله لله تعالى، كما أنه يكون لله تعالى خالصاً، ولا جهاد ولا نهضة إلا بالوعي والحزم والعزم والجزم؛ لأن أصل المرء لبّه، ونِعْمَ ما قال جعفر بن محمد الصادق(ع):

(ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة)([21])

لقد أوصى مولانا علي بن أبي طالب(ع) أهل مصر حين ولّى مالكاً عليهم بأن قال في رسالته المكتوبة إليهم:

(ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقصت، والى أمصاركم قد افتتحت، والى ممالككم تزوى، والى بلادكم تغزى؟ انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوؤوا بالذل، ويكون نصيبكم الأخسَّ. وإن أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه والسلام)([22]).

وقال (ع) لجيشه:

(لاَ تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً)

فأين تذهبون يا طالبي الكرامة؟ وأين يتاه بكم ياساسة؟ تدبروا قول الكريم السائس حيث يوصي ابنه الحسن بن علي (عليه السلام) بقوله...

(..وأكرم نفسك عن كل دنيَّةٍ وإنْ ساقتك إلى الرغائب، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حُراً، وما خيرُ خيرٍ لا ينال إلا بشرٍ، ويسرٍ لا ينال إلاّ بعسرٍ؟!)([23])

ولقد كتب عليه السلام إلى معاوية فقال:

(.. ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعيّة، وولاة أمر الأمة؟ بغير قدم سابق، ولا شرف باسق، ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء، وأحذرك أن تكون متمادياً في غرة الأمنية، مختلف العلانية والسريرة)([24])

حيث يقول(ع): إنّ النكْراء ليست سياسة، وأنّ الماكر المخادع ليس سائساً, وأنّ النفاق واختلاف السرّ والعلن لا يلائم السياسة الدائرة مدار الكرامة المختصّة بعباد الله الصالحين الذين بها يستحقون الحكومة على الأرض وميراثها ويشتاقون لأكرم الموت([25])وهو القتل في سبيل الله؛ لأنهم الذين لم يختلف سرّهم عن علنهم، ولا فعلهم عن قولهم، ومن كان كذلك فقد أدّى الأمانة، وأخلص العبادة([26]). ومن كان مخلصاً في عبادته لله تعالى يورثه الله الأرض، ويجعله إماماً يحكم عليها.

{إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء}([27])

لقد شاء أن يورثها إلى من أخلص لله في عبادته الجامعة.

السياسة الإسلامية تقتضي الإحسان إلى الجميع ما عدا المفسدين:

تبيّن أنّ السياسة الإسلامية تدور مع الكرامة حيثما دارت، والكرامة توجب الإحسان إلى كل واحد إلا من سعى في الأرض ليهلك الحرث والنسل، فإنّ لسيئته جزاءً مثلها. فالأصل الأولي في السياسة الإسلامية مبني على الإحسان، كما أنه مبني على العدل، حيث إنّ علياً (ع) أوصى مالك بن الحارث الأشتر حين ولاّه مصر بقوله:

(ولا تكوننَّ عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان؛ إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظيرٌ لك في الخلق)([28])

فأمر بلزوم رعاية العدل، وعدم التجاوز عنه بالنسبة إلى أي إنسان ـ مسلماً كان أو غير مسلم ـ ومنشأ ذلك كله قوله تعالى:

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}([29])

حيث خصّ النهي عن التولّي والارتباط بما قاتل المسلمين وآذاهم، أما من لم يقاتلهم ولم يؤذهم، ولم يصدّهم عن سبيل الله، ولم يبغها عوجاً فلا نهي عن البرّ والإحسان والإقساط إليهم، بل هو أمرٌ محمود ليروا عدل الإسلام وإحسانه، ويعيشوا في ضوء قسطه وبرّه.

نعم, لكل شيءٍ في الإسلام حدٌّ، ومن تعدّاه فله حدٌّ مُبيّن في الفقه، ولا تعطيل في الحدود، ولا شفاعة ولا تأخير فيها؛ لأن ذلك هو مقتضى النظام الإلهي، وعلى المسؤولين أن يجدّوا في تنفيذه؛ لأنهم الحافظون لحدود الله، وإلاّ لما أتيحت لهم فرصة السياسة، إذ لا كرامة في تعطيل الحدود وجعلها بئراً معطّلة، كما أنه لا مجال للتساهل في الذبّ عن الكيان الإسلامي؛ لأن التواني والتهاون والتراخي والجمود والسكوت عن الحق وما إلى ذلك هي من سيئات القوة الدافعة، وعجزها وتفريطها الذي لا يجتمع شيء منها مع الكرم السائس، وإن صححه الخيال تارة وسدّده الوهم أخرى, وحَسَبَ الإنسان المبتلى بذلك أنه احتياط وحزم حسن يرى الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة النفس ألئيمة وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ولكنه ليس في الحقيقة كذلك. والأصل في ذلك كله قوله تعالى لموسى وهارون الذاهبين إلى طاغي العصر:

{ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي}([30])

إذ التواني في ذكر الله يوهن العزم، ومن المعلوم أنْ لا ثمرة للعزم الواهي إلا الانهزام، ولذا قال علي بن أبي طالب(ع):

(ما عَليَّ من قتال من خالف الحقَّ، وخابط الغيَّ من إدهانٍ ولا إيهانٍ)([31])

لأن هؤلاء ودّوا لو يُدهِن والى المسلمين فيدهنون, كما قال تعالى لرسوله:

{ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}([32])

والسرّ في ذلك أنّ المداهنة شفير وادي الذل والهزيمة، وأنّ المقاومة سُلّ َّم صرح العزة والغلبة. فتحصّل أنّ الكرامة التي هي السياسة تقتضي الإحسان إلى كل أحد إلاّ من خالف الحق، وطلب البغي، وسعى في الأرض ليهلك الحرث والنسل، فحينئذاك يجب على الإمام والأمة أن ينهضوا وينتصروا عالِمين بأن الله كتب الغلبة له تعالى ولرسله. وقال علي(ع):

(من أحدَّ سنان الغضب لله قَوِيَ على قتل اشدّاء الباطل)([33])

ومما لابُدَّ من التنبيه له هو أنّ السياسة الإسلامية لا تفعل باطلاً، ولا تصححه ولا تغمض عنه؛ لأنها تدور مدار الحق. والحق كما قال تعالى:

{ قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}([34])

لا يُجوِّز الباطل سواء كان ذا سابقة أم كان باطلاً جديداً.

السياسة الإسلامية تقتضي الاستقلال والحرية والاكتفاء الذاتي والاتكال على الله وحده، وحصر الاتكال.

إنّ الكرامة التي تناط بها السياسة تقتضي أن لا يحتاج الإنسان إلى محتاج آخر مثله، وأن لا يذل له بل يستقل بحوله وقوّته مستعيناً بالله تعالى، ولقد مَثَّلَ القرآن الكريم هذه الكرامة المصحوبة بالحرية والكفاية بقوله تعالى:

{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}([35])

وهذه الآية الكريمة ـ بعد ما بيَّنت توحيد الأمة الإسلامية في العبادة والعقيدة وأنه ليس في عقيدتهم إلا الخضوع لله، وأنّ الركوع والسجود له تعالى كان دأباً وسيرة مستمرة لهم، ولذا لا يخافون في الله لومة لائم ولا يداهنون الكفار المنحرفين عن صراط التوحيد، بل يكونون أشدّاء عليهم، كما يكونون رحماء بين أنفسهم؛ لأنّ الجامع بينهم هو عقيدة القلب فحسب ـ أفادت أنهم مستقلون أحرار أغنياء عن الأغيار، ويتعجب منهم من يشاهد كفايتهم، ويغاظ بهم من لا يرضى باستقلالهم وحريتهم، حيث قال:

{... مثلهم ... كزرع أخرج.. الخ}.

أي أنهم أهل النمو والحركة والرشد والتسامي، لا أهل الخمول والسكون والذبول والانحطاط، ثم إنهم بعدما كانوا أهل التحرك والتحرر يكونون أهل الوعي والاستنباط والتبديل والاحتراف والصناعة وما إلى ذلك, حيث إنهم يعرفون ذخائرهم وموادّهم الأولية ويبدّلونها بما هو صالح للإغتذاء، ويصرفونها في التغذية بالمعنى الوسيع الجامع لجميع شؤونها بلا احتياج في شيء من ذلك إلى وزير من خارج أو نحو ذلك، بل يستقلون في الوزارة والإعانة، وكذا في التغليظ والتحكيم كالبنيان المرصوص إذ لو لم يكن لهم ساق غليظ لما أمكن لهم أن يقوموا عليه؛ لأن الشجرة التي اجتثت من فوق الأرض لا قرار لها، وهكذا الزرع الذي لا ساق غليظ له ـ بأن يكون غلظه بسبب أصله الثابت الموجب لغلظة الساق وضخامته ـ لا قرار لهن فكيف يمكن للزرع أن يستقر على مثل ذاك الساق؛ وهكذا الأمة الإسلامية ما لم تكن كشجرة طيبة أصلها ثابت كيف يمكن الاعتماد عليها، وكيف يمكن أن تؤتي ثمرها وأكلها كل حين، إذ لا يأذن الله بذلك لمن لا أصل له، أبى الله أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها ـ وأهم سبب يوجب الاستقلال هو الاتكال على الله تعالى لقوله تعالى:

{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}([36]).

حيث يدل على أنّ الله تعالى وحده كافٍ، وإنّ الاعتماد على الله الذي هو معتمد عباده موجب للكفاية، وعلى أنّ تهديد الكفار وإرعاب المنافقين، وتخويف الذين في قلوبهم مرض، وإنذار المرجّفين، لا جدوى منه، إذ لله جنود السماوات والأرض فلا ينبغي أن يخاف إلا من الله، كما لا ينبغي أن يتوكل إلاَّ على الله تعالى:

{... قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}([37])

ثم إنّ الاستقلال والحرية وما إلى ذلك مما هو من خصائص الكرامة التي تسوس الأمة الإسلامية، ليس بالأماني كما قال علي(ع):

(إياك والإتكال على الأماني فإنها بضائع النوكى، وتثبيط عن الآخرة)([38])

بل لابُدَّ له من سبب خاص يجب به ويمتنع بدونه، وذاك السبب هو أن يتصدى لكل شأن من شؤون النظام الإسلامي مَنْ هو كامل في أمرين:

أحدهما: الإطلاع والمعرفة والتخصص بالنسبة إلى ذلك الشأن.

وثانيهما؛ التعهّد والإلتزام الديني، والتقوى الإلهي بحيث لا يخون في شأنه، ولا يختلس منه، ولا يسامح فيه. فمن كان فاقداً لأحدهما لم يصح له التصدي لذلك الشأن فضلاً عمّن كان فاقداً لهما معاً. والأصل في أنّ كمال النظام في أنّ المتصدّي لأي شأن كان لابُدَّ وأن يجمع وصفي العلم والعدل, وكمالي التخصص والتقوى وهو ما أشار إليه سبحانه في كتابه الكريم من بيان شأنين: أحدهما: في غاية الأهمية والتعقيد، والآخر: في غاية البساطة والإبتذال.

الأول: تولّي وزارة الاقتصاد في أصعب عصر، والتصدي للأمور المالية في أحرج وضع.

الثاني: رعي عدة أغنام وسقيها.

أما الأول؛ فقوله تعالى حاكياً عن يوسف الصدّيق (ع) بعد خروجه من السجن، وابتلاء مصر بالقحط والغلاء والمجاعة ونقص الزرع:

{... اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}([39])

يعني أنّ يوسف(ع) ادّعى صلاحه للوزارة وإدارة الأمور المالية في أعسر وضع؛ لأنه كان حفيظاً أميناً لا يفرط ولا يخون. وعليماً بذلك الشأن الخاص مع تقدم الحفظ والتقوى المالي في هذا الموضع على العلم، فيلزم أن يكون الوزير متّقياً في شأنه، وعالماً به، فلا التقوى بدون المعرفة بذاك الفن كافية، ولا الاطلاع الفني بدون التقوى مُجدٍ، بل لابُدَّ للوزير من الجمع بين التخصص والتقوى.

وأما الثاني؛ فقوله تعالى حاكياً عن إحدى بنتي شعيب (ع) في استيجار موسى(ع):

{.... يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}([40])

يعني أنّ خير العمال والمتصدّين لأي أمر هو القوي على إنجازه والعارف به وبشؤونه والأمين عليه، فخير الرعاة والسقاة هو الراعي القوي الأمين والساقي الخبير الثقة.

والحاصل؛ إنّ منطق القرآن الكريم هو لزوم المعرفة والأمانة في كل من يتصدى لأمر عالٍ أو دانٍ، معقد أو بسيط، وزارة كان أو رعياً للأغنام وسقياً للدواب ونحو ذلك، فإذا أعطي في نظام كل ذي حق حقه، وتصدى لكل شأن من يليق به تعهّداً وتخصصاً، فذاك النظام هو الحري بالاستقلال والحرية.

ثم إنّ من أهم موارد لزوم الاستقلال هو الاقتصاد المالي والنظام الاقتصادي؛ لأن المال قوام الأمة وقيامها ولا اقتدار لمن لا قوام له، ولا حول لمن لا قيام له. قال تعالى.

{ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً}([41])

حيث وصف الله تعالى المال بكونه قياماً. فمن لا مال له لا قوام له، ولعله لهذا السبب يقال لفاقد المال(الفقير) لأن الفقير هو من انكسر عظم ظهره وفقراته، ومن المعلوم أنّ من انكسر عظم فقرات ظهره لا قوام له ولا قيام له فبينهما تلازم؛ يعني أنّ من انكسرت فقرات ظهره فهو فقير لا قيام له، ومن لا قوام له ولا قيام له فهو فقير. وحيث إنّ المال قوام، ومن لا مال له لا قوام له فهو فقير، كذلك يقال لمن لا مال له أنه فقير. فالأمة الفاقدة للنظام الاقتصادي الصحيح هي ممن لا قوام لها، فلا تستطيع الثورة على الطغاة، ومن لا قيام له فهو فقير؛ فهذه الأمة العاجزة عن القيام المالي فقيرة, فحينئذ ليس في وسعها أن تقوم لله وتتعظ بما وعظها الله تعالى, حيث قال في قرآنه الكريم:

{.... إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}([42]).

إذ المراد من القيام هنا ليس هو القيام الصوري العمودي، بل المراد منه المقاومة تجاه الظالمين, ومن الواضح أنّ المقاومة إنما تجدي مع النظام الاقتصادي الرائع، وبدونه لا قيام ولا مقاومة ولا صبر ولا مصابرة ولا مرابطة. ولقد أشار إليه رسول الله(ص) في قوله:

("اللهم" بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بينا "وبين الخبز" وبينه فلولا الخبز ما صلّينا ولا صمنا، ولا أدّينا فرائض ربّنا)([43]).

وليس ذلك بالنسبة إلى شخصه(ص) أو الكُمَّلين من صحبه بل بالنسبة إلى الشعب.

والسر في ذلك كله هو أنّ فاقد المال فقير بمعناه المقرر له آنفاً، والفقير غير قادر على القيام فضلاً عن الإقامة, وهو ـ أي القيام للدين وإقامته ـ إنما يتمّ في النظام الاقتصادي السالم، وذلك بالإنتاج والتوزيع وكل ذلك فن معقد لا يتصدى له إلاّ الخبير الثقة فمن لا خبرة أولا وثوق به لن يجدي شيئاً:

{ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ}([44])

فحينئذ يصير كلاًّ على غيره، وقد قال رسول الله(ص):

(ملعون من ألقى كلّه على الناس)([45])

فمعه تصير الأمة التي ألقت كَلَّها على الأمم الأخرى ملعونة محرومة من العناية الإلهية، كما قال (ص):

(لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال يكفُّ به وجهه، ويقضي به دينه، ويصل به رحمه)([46])

لأن جمع المال المتكاثر به وإنْ كان مذموماً إلاّ أنّ جَمْعَه بمقدار يصان به العرض، ويقضي به الدين، ويوصل به الرحم، وما إلى ذلك من الحوائج ممدوح.

كما قال علي بن أبي طالب(ع) في دعائه:

(اللهم صُنْ وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار)([47])

وللاهتمام بالنظام الاقتصادي الصحيح قال علي(ع):

(من وجد ماءً وترابا ثم افتقر فأبعده الله)([48])

حيث إنه (ع) هّدد العاطل، وتوعّد الكسلان، ورهّب الفارغ، مع التمكن من الإنتاج من الغرس والزرع ونحو ذلك، فلا يباح للأمة الإسلامية الكسل والفشل والضجر والعجز في المشي في مناكب الأرض، واستخراج ما في بطونها مما أودعه الله فيها. قال علي(ع):

(إنّ الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتجا بينهما الفقر)([49])

وهكذا قال (ع):

(إنّ الله عز وجل يحب المحترف الأمين)([50])

ولعله إشارة إلى لزوم اجتماع وصفي العلم والأمانة في الصانع؛ لأن الحرفة صناعة لابُدَّ فيها من مهارة وتخصص، ومع انضمام وصف الأمانة إلى ذلك يتمّ الأمر كما تقدم.

وحيث إنّ النظام الاقتصادي إنما يصحّ إذا كان جامعاً بين الحرف الزراعية والحرف الصناعية الدارجة اليوم ندب السياسة الإسلامية من بُعدها الاقتصادي إليها أيضاً. قال الثمالي: مررت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق(ع) في سوق النحاس فقلت جُعلت فداك هذا النحاس أي شيء أصله؟ فقال (ع):

(فضة إلاّ أن الأرض أفسدتها، فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها)([51])

فهو (ع) قد رغّب الناس في التعرّف على تلك المعادن، وكيفية امتزاجها، وكيفية تخليصها، وحضّهم على الاصطناع والاحتراف الخاص بذلك، كما أنه (ع) حذّر الناس من جمع المال وادخاره وعدم صرفه في الإنتاج والتصنيع، قال(ع):

(ما يخلّف الرجل بعده شيئاً أشدُّ عليه من المال الصامت. قال: قلت له كيف يصنع؟ قال(ع): يضعه في الحائط والبستان والدار).([52])

إذ المال إنما هو موضوع لأن تتبادل فيه الأجناس لا لأن يدخر في مكان واحد، وبيد شخص أو أشخاص مخصوصين، قال تعالى:

{... كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ..}([53])

فعليه يلزم أن يصرف المال في التصنيع والإنتاج أولاً، وفي التوزيع بين الناس لأنهم سواسية كأسنان المشط ثانياً، حتى يُحمى من الإكتناز، ويصان من التكاثر، وتُجتنب الفاقة إلى غير الأمة الإسلامية في مواد المعيشة، ويحترز من سيئات هذه الفاقة. إذ الاحتياج إلى أمة غير إسلامية سواء كان في النظام الاقتصادي أو العلمي أو العسكري أو غير ذلك يوجب تولّيهم والركون إليهم، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك كله، وحذّر الأمة الإسلامية منه، والسر في هذا الأمر هو أنّ الإفتقار إلى دولة غير إسلامية يوجب سدّ الخلّة ورفع الحاجة بهم، ومعلوم أنّ سدّ الخلّة ولَمَّ الشعث ورفع الفاقة من الأمة الإسلامية إحسان إليهم، والإحسان يوجب انجذاب قلوب المحتاجين إلى مَنْ أحسن إليهم، كما قال رسول الله:

(جبلت القلوب على حُبِّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها)([54])

ومحبة الكفار الطغاة ركون إليهم، وتولٍّ لهم، وحنين نحوهم. وقد قال سبحانه وتعالى:

{ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}([55])

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ}([56])

حيث إنه تعالى حذّر الأمة الإسلامية من الركون إليهم. والركون؛ هو الميل القليل والحنين اليسير.

أضف إلى أنّ القلب مجبول على حبّ من أحسن إليه.

إنَّ هؤلاء الكفار لا يرضون بمجرد الركون والحب القلبي، بل يسعون لأن يصيروا أولياء على المسلمين ويجعلونهم تحت ولايتهم، ويملكون رقابهم ويستبدّوا بهم كما هو المعروف من شيمهم المشؤومة وسيرتهم السيئة، والإسلام لا يرضى بذلك؛ هيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والأئمة من ولده؛ لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه، والإسلام يوجب السيادة، وينزّه المسلمين عن عبودية غير الله كما قال رسول الله(ص) حيث إنّ أبا جهل وجماعة من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب وشكوا إليه النبي(ص) وقالوا: قد سفَّه أحلامنا وشتم الإله، فدعاه أبو طالب وقال له: ما لأهلك يشكونك؟ فقال النبي(ص) أدعوهم إلى كلمتين خفيفتين يسودون على العرب بهما، ويؤدي الخراج إليهم بهما العجم. فقال أبو جهل وغيره ما هما؟ فقال (ص): (تشهدون أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله) فقال أبو جهل (أتجعل الإلة إلهاً واحداً؟)([57]).

فهل ترى أيها الباحث في السياسة الإسلامية إنّ الإسلام لا يرضى بأن يكون هؤلاء الكفرة أولياء المسلمين وساداتهم، مضافاً إلى أنّ المراودة معهم إذا كانت مراودة الفقير والغني، ومرابطة الرق والحر، ومعاملة المقهور والسلطان توجب تخلّق المسلمين بأخلاق هؤلاء الكفار، وانخراطهم في سلكهم كما هو الشاهد بين الأمم الضعيفة والقوية، مع أنّ القرآن الكريم ينادي ببراءة الله ورسوله من المشركين ما لم يتوبوا؛ لأنهم إنْ يظهروا على المسلمين لا يرقبوا فيهم إلّاً ولا ذمة، يرضونهم بأفواههم، وتأبى قلوبهم وأولئك هم المعتدون, ولذا أمر المسلمين بقتالهم حيث قال سبحانه:

{ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ}([58]).

فتحصّل أنّ الكرامة السائسة تأبى افتقار المسلمين إلى غيرهم في شيء من شؤونهم الدنيوية، بل توجب أن يكونوا مستقلّين في ذلك كله وأحراراً.

وإنَّ من أهم تلك الشؤون هو النظام الاقتصادي الصحيح الطارد للفقر الذي هو كما قال علي(ع):

(... منقصةٌ للدين، مدهشةٌ للعقل، داعية للمقتِ).([59])

وقال أيضاً:

(الفقرُ الموتُ الأكبر)([60])

وأنها (أي السياسة التي تدور مدار الكرامة) تقتضي الإحسان والأدب الصالح، إلا ما خرج بالنص. قال مولانا جعفر بن محمد الصادق(ع):

(وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته)([61])

السياسة الإسلامية توحّد المسلمين وتمنع من تفرّقهم:

إنّ الكرامة تمنع من الميل إلى الهوى المُردي، وتحذّر من الجهل المهلك, ومن أي سبب يوجب الاختلاف والتفرّق بين المسلمين وجعلهم أيادي سبأ متفرّقين؛ لأن ذلك كلّه من الدناءة التي لا تجوّزها الكرامة السائسة.

ولذا ترى الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله(ص) في أمته لن يضلّوا ما تمسّكوا بهما وهما كتاب الله وعترته الطاهرة، يدعوان الأمة الإسلامية إلى الوحدة، وينهيانها عن الإختلاف والتفرقة.

{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ}([62])

{ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}([63])

{ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}([64])

{ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}([65])

حيث يدل على أنّ التفرّق في الدين، والحياد عن الصراط المستقيم الذي لا تخلّف فيه ولا اختلاف، سيّئة كبيرة موبقة، سيّما حال القتال مع أعداء المسلمين، حيث قال سبحانه:

{ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ}([66])

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ}([67])

حيث نهى عن الإستدبار والانفضاض من حول إمامهم الذي لا تحركه العواصف، كرار غير فرار وهو رسول الله(ص) ومن هو بمنزلته.

وبالجملة؛ فإن الإختلاف والتفرّق يوجبان الوهن والفشل المستلزم للإنهزام، والإنظلام وتسلط الكفار. كما قال سبحانه:

{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}([68])

لأن النزاع هو خلع القوة ونزع القدرة من الجانبين، هذا يصرف همّه وقدرته في نزع القدرة عن ذاك، وذاك يهمّ ويسعى في إزالة القدرة عن هذا. فلذا اتفقا على نزع القدرة. والإتفاق غالب ومؤثّر، فلذا تنزع القدرة عن الطرفين، فيبدو فيهما الفشل، وإذا بدا الفشل ذهبت الريح والعزة، فإذا ذهبت العزة جاءت الإستكانة والذل(أعاذ الله الإسلام والمسلمين منهما) إذ لا ريب في أنّ الكفار إنْ أظهروا على المسلمين لم يبقوا شيئاً من كيانهم، كما قال سبحانه:

{إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}([69])

فحينئذ يصيب المسلمين الملق والخضوع. وقد قال رسول الله(ص):

(من مدح سلطاناً جائراً، وتخفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه في النار).

وقال أيضاً:

(من ولّى جائراً على جوره كان قرين هامان في جهنم)([70])

وذلك لأن الذليل يضطر إلى الملق والمدح والتولّي والخضوع للكفار، ولكن هذا الأمر الاضطراري اختياري في الواقع؛ لأن الإمتناع بالإختيار لا ينافي الاختيار.

والحاصل؛ إنّ العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين منوطة باتّحادهم وتآخيهم وكونهم يداً واحدة على مَنْ سواهم، وإلاّ تحتّم لهم الفشل، وتعيَّن لهم ذهاب الريح ونفاد روح العزة، وكتبت عليهم الذلّة والمسكنة، بعدما وعدهم الله العزّة والنصرة.

وليعلم أنّ مناط الوحدة هو العقيدة، كما أنّ مدار السياسة الإسلامية عليها حسبما تقدم سالفاً بيان أصالة العقيدة دون اللغة والقومية والمكان وغير ذلك.

وليعلم أيضاً أنّ موطن العقيدة هو القلب الذي زمامه بِيَد مقلّب القلوب لا غير، ولذا قال علي(ع):

(عَرفتُ الله سبحانه بفسخ العزائم، وحلّ العقود، ونقض الهمم)([71]).

وحيث إنّ القلب بيده تعالى، فما لم يصِر سالماً لم يتيّسر له أن ينزع منه الغلّ والحقد والضغينة وما إلى ذلك من أدواء الصدور، ولهذه الخصيصة قال سبحانه لرسوله:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}([72])

يعني أنّ القلب لكونه خارجاً عن منطقة الطبيعة والمادة لا يمتلكه شيء من الذخائر المادية، حتى يعتقد به الحق ويتحد به مع القلب الآخر، بل إنما أمره بيد الله سبحانه، وهو ينظر إلى القلوب والسِيَر لا إلى الصور([73]) فإذا وجد القلب سالماً من المرض نوّره بالوحدة والألفة، وإذا وجده مريضاً يسارع في الكفر يقول:

أخشى وأخاف أن تصيبني دائرة، وأخاف أن الإسلام ينهزم، وأن الكفر ينتصر ويغلب، أمسك الله فيضه عنه، ووكله إلى نفسه، ومن وكله الله إلى نفسه فلا عماد له، ولا ملاذ له، لأنه لن تجد من دونه ملتحداً.

قال جل جلاله:

(أيما عبد أطاعني لم أُكلّه إلى غيري، وأيما عبد عصاني وكّلته إلى نفسه ثم لم أبال في أي واد سلك)([74]).

وكذا قال تعالى:

(إذا عصاني من خلقي من يعرفني، سلطت عليه من خلقي من لا يعرفني)([75]).

وبالجملة فالعزّة حليفة الوحدة، كما أنّ الذلّة قرينة الفرقة. فمن اتحد عزَّ ومن تفرّق ذلّ. وقد قال علي بن أبي طالب (ع):

(إن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه، ولو كان تحت عمامتي هذه)([76])

وقال أيضاً:

(ولا تباغضوا فإنها الحالقة،)([77])

وحيث إنّ الوحدة عزة، والعزة كرامة، والكرامة بالتقوى، فمن كان أتقى كان أكرم وأعز، ومن كان أعز كان أدعى إلى الوحدة والتآخي كما كان علي (ع) كذلك، وهو يقول:

(وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة أمة محمد (ص) وألفتها مني أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب)([78])

ثم إنّ الوحدة الموجبة للإنتصار والعزّة ليست بمعنى الإدهان ولا الإيهان في حكم الله تعالى بل هي بمعنى عدم الميل إلى الهوى وكل ما يوجب التفرّق عن الإسلام، لا ما يوجب الاتحاد وتأكيده وتقويته، ومنه يظهر لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشرائطه المقررة في الفقه؛ لأنه الموجب لعزّ الإسلام، وبعزّته يعزّ المسلمون وبنجاته ينجو المؤمنون.

روى البخاري في صحيحه ج2 ص 6 عن رسول الله(ص) أنه قال:

(كلكم راع وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته).

وهذه المسؤولية العامة هي التي تحفظ الوحدة الإسلامية وتحرسها من الضياع ولقد مثّلها رسول الله بأروع تمثيل، حيث قال(ص):

(مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم، فقالوا: خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)([79])

تأمل جيداً في هذا المثل واعقله؛ لأن الأمثال مضروبة للناس ولكن لا يعقلها إلاّ العالمون، وتدبّر فيه حتى يتضح لك أنّ المسلمين هم ركّاب سفينة مهددة بالخرق والغرق؛ فإن أخذت الأمم الإسلامية أيادي حكوماتها ومنعتها من خرق سفينة الإسلام بتولّي الطغاة المسؤولين الذين لا يبقون ولا يذرون الإسلام والمسلمين معاً، وإن نامت الأمم ـ ومن نام لم ينم عنه ـ وسبتت عقولها(نعوذ بالله من سبات العقل) وتركت الحكومات وشأنها ولم تأخذ على أيديها وأهملتها حتى باعت الإسلام والمسلمين بثمن بخس، هلكوا جميعاً.

والخلاصة: فإن كرامة الأمة الإسلامية منوطة بوحدتها وتآخيها

ولا تحصل الوحدة والأخوة إلاّ بصيانة بعضها البعض الآخر في الشؤون الدينية والاجتماعية وغيرها. قال رسول الله(ص):

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً)([80]).

وقال (ص):

(مثل المؤمن في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى)([81]).

وقال (ص) أيضاً:

(المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كلّه، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله)([82])

ولا مرية في أنه لولا تعاضد الأعضاء وتعاونها لما برئ العضو المريض، ولما زال داؤه، وإذا لم يبرأ المريض ولم يزل داؤه لم يجد الراحة ولم يحصل على الأمان والصحة. أي النعمتين المجهولتين.

ومن هذا الباب ما أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى.، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان كما في سورة المائدة آية 2 ـ لأن التعاون على التقوى يورث الإتحاد والأخوة، وأما التعاون على الإثم فيوجب التفرقة والنفرة المنافية للإيمان. إذ الإيمان يقتضي الأخوة في الله. كما قال سبحانه:

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}([83]).

ولنختم المقال بكلمة خاتم الأنبياء الذي أوتي جوامع الكلم وهي من غرر كلماته(ص) التي لم يسبق إليها، وهي قوله(ص): (الآن حَمي الوطيس).

(من لا يحضره الفقيه ج4 ص 272) و(تاريخ الخميس ج1 ص 406) قالها (ص) في حُنين، أي اشتدت الحرب وقامت على ساق.

والوطيس، موقد النار شبه التنور، والمراد به أنّ الشجاعة تنفع الآن. ويجب على كل أحد أن يبذل جهده حينئذ ولو وقع بعض الفتور أو الاحتياط وقعت المغلوبية، وفيها خسران الدنيا والآخرة. وحينما يكون التنور حارّاً يجب انتهاز الفرصة بالاختباز؛ لأنه لو برد لما أمكن ذلك.

واعلموا أيها المسلمون إنّ الثورة الإسلامية في إيران ـ بزعامة قائدها المرجع الديني الإمام الخميني أيّده الله لِما يحب ويرضى ـ وطيس حار مشتعل بالوعي والحرية والاستقلال والحركة والكفاح والقتال والجهاد والمجاهدة؛ لأن الشعب الإيراني المسلم قد هاجر الهجرتين اللتين أشار إليها رسول الله(ص) في قوله:

(إنّ الهجرة خصلتان؛ إحداهما أن تهجر الشر، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله).([84])

وسارع إلى المغفرة من ربّه، وسابق إلى الخيرات بتحمّل أعباء الاضطهاد والنهب والقتل والسبي، وتخريب البيوت، وهدم الشوارع والمخازن والمزارع والمصانع والمدارس والمستشفيات ونحوها، وكل ذلك لله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله(ص)، قطعاً لأيادي الامبريالية والصهيونية وكل باغ وطاغ، طلباً للإصلاح في الجامعة الإنسانية بأن لا تعبد إلاّ ربّها الذي هو ربّ العالمين، ولا تشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

فهذا الوطيس حار بحرارة الإيمان والشهادة:

معاشر المسلمين: استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وعضوا على النواجذ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام. وأكملوا اللاّمة، وقلقوا السيوف في أغمادها قبل سلّها. والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، واعلموا أنكم بعين الله، ومع ابن عمّ رسول الله. فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنه عارٌ في الأعقاب، ونارُ يوم الحساب. وطيبوا عن أنفسكمُ نفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سُجُحاً، وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرّواق المُطنَّب، فاضربوا ثبجة فإن الشيطان كامنٌ في كسره، وقد قدم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً، فصمداً صمداً! حتى ينجلي لكم عمودُ الحق{وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}.([85])

واعلموا عباد الله أنّ الله سبحانه لن يَترِ عمل قوم أخلصوا له في تحمّل الاضطهاد والشوق نحو الشهادة، غذ العمل الإلهي مشفوع بالنتيجة وليس موتوراً عنها؛ لأن الباطل موتور ويذهب جفاءً، وأما الحق فيمكث في الأرض، ولهذا نهى الله سبحانه عن الوهن، وعن الدعوة إلى السِلْم والحال هذه, أي إذا اشتدّ وطيس الحرب بأبدان قطعت في سبيله ارباً اربا، ورؤوس أطيح بها في طريقه وبمصائب أخر لا يقدر البيان والبنان على شرحها فلا مجال للسِلْم، بل الأمر منحصر في الشهادة أو الانتصار.

قال سبحانه:

{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إلى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}([86])

أي لا تهنوا ولا تدعوا إلى المسالمة، واعلموا أنكم أنتم الأعلون؛ لأن الله القاهر فوق عباده معكم، ولن يقطع أعمالكم الصالحة عن الإنتاج، ولن يتركم عن ثمرات مجاهداتكم، ولا يجعلها وتراً فرداً بل يجعلها شفعاً وزوجاً بالإنتاج؛ لأن العمل المنتج شفع، والعمل العقيم وتر، وحاشا الله سبحانه أن يَعِدَ عباده الذين اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بالنصر ويقول لهم: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} ويقول: {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ} ويقول: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} ويقول: {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} ويقول: {كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ}.. ثم لا يفي به سبحانه الذي لا يخلف وعده ولا يطقع رجاء من رجاه، ولا أمل من أمّله سبحانه الذي لا يعجزه شيء في السماوات والأرض...

نسأل الله تعالى منازل الشهداء، ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء.([87])

([1]) القصص:5 -6.

([2]) آل عمران : 164.

([3]) الحجرات:17.

([4]) إبراهيم: 13 - 14.

([5]) فاطر: 28. ولا ينافيه قول السجاد(ع): إنّ أعطيت لم تشب عطاءك بمن ـ دعاء (45) ـ فتدبر ـ.

([6]) من لا يحضره الفقيه ج4 ص 258.

([7]) الأعراف: 136 - 137.

([8]) المدثر:5.

([9]) 39 - 41.

([10]) البقرة: 250.

([11]) يس:26 -27.

([12]) النساء:97 - 98.

([13]) الأعراف: 128.

([14]) الأنفال:24.

([15]) الأنفال:24.

([16]) البقرة: 179.

([17]) التوبة:91 - 92.

([18]) الأنعام:91.

([19]) القصص:17.

([20]) البداية والنهاية لأبي الفداء ج1، ص: 54.

([21]) من لا يحضرهُ الفقيه ج 4 ص: 286.

([22]) نهج البلاغة، صبحي الصالح، ص 452.

([23]) نهج البلاغة الكتاب (31).

([24]) نهج البلاغة الكتاب (10).

([25]) الخطبة 123.

([26]) نهج البلاغة الكتاب(24).

([27]) الأعراف:128.

([28]) نهج البلاغة الكتاب(53).

([29]) الممتحنة:8 -9.

([30]) طه:42.

([31]) الخطبة :24.

([32]) سورة القلم:9.

([33]) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ص: 501.

([34]) سبأ:49.

([35]) الفتح:29.

([36]) الزمر:36.

([37]) الزمر:38.

([38]) من لا يحضره الفقيه: ج4 ص 275.

([39]) يوسف:55.

([40]) القصص:26.

([41]) النساء:5.

([42]) سبأ:46.

([43]) الكافي ج5 كتاب المعيشة باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.

([44]) النحل:76.

([45]) الكافي؛ باب الاستعانة بالدنيا على الآخرة.

([46]) الكافي - الباب السابق.

([47]) نهج البلاغة ص (347) صبحي الصالح الخطبة: 225.

([48]) الوسائل؛ كتاب التجارة باب:9.

([49]) الكافي ؛ كتاب المعيشة؛ باب كراهية الكسل.

([50]) الكافي باب الصناعات.

([51]) الكافي: كتاب المعيشة: باب النوادر ح 15.

([52]) من لا يحضره الفقيه: ج3، ص 104.

([53]) الحشر:7.

([54]) من لا يحضره الفقيه ج4 ص 273.

([55]) هود:113.

([56]) المائدة:51 -52.

([57]) التبيان للطوسي ج8 ص: 497.

([58]) التوبة:12.

([59]) نهج البلاغة، الكلمات القصار ص 531 ـ صبحي الصالح.

([60]) وسائل الشيعة:ج12 ص:39

([61]) من لا يحضره الفقيه، ج4 ص: 289 ح 48.

([62]) آل عمران:103.

([63]) الشورى:13.

([64]) الأنعام:153.

([65]) آل عمران:105.

([66]) الأنفال:15.

([67]) الأنفال:45.

([68]) الأنفال:46.

([69]) الممتحنة:2.

([70]) من لا يحضره الفقيه ج4، ص 6.

([71]) نهج البلاغة، صبحي الصالح ص :511.

([72]) الأنفال:63.

([73]) قال النبي (ص): إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم(سنن ابن ماجة ـ كتاب الزهد ـ باب القناعة).

([74]) وسائل الشيعة:ج15 ص235

([75]) وسائل الشيعة:ج15 ص307

([76]) نهج البلاغة الخطبة127.

([77]) نهج البلاغة الخطبة86.

([78]) نهج البلاغة؛ الكتاب 78.

([79]) مناهل العرفان ج1، ص 299 عن البخاري.

([80]) مسند احمد:ج4 ص404

([81]) مسند احمد:ج4 ص770

([82]) صحيح مسلم الجزء الثامن ص 20 باب تراحم المؤمنين

([83]) الحجرات:10.

([84]) البداية والنهاية لأبي الفداء، ج1 ص 202.

([85]) نهج البلاغة الخطبة 66.

([86]) محمد (ص):35.

([87]) نهج البلاغة الخطبة 23.